

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

\*

**صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين**

**رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب**

\*\*\*

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق

**ئاسۆس**

# نأسؤس

رواية

محي الدين زنگنه

اسم الكتاب: نأسؤس - رواية  
تأليف: محي الدين زنگنه  
من منشورات نأراس رقم: ٣٨٥  
الإخراج الفني والغلاف: آراس أكرم  
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن الحاج محمود  
الطبعة الثاني، اربيل - ٢٠٠٥  
رقم الإيداع في مكتبة العامة في اربيل: ٢٠٠٤/٢٠٨

الاهداء...

الى الصديق العزيز... الحبيب.

الذي طلب مني

ان اكتب شيئاً... عنه

ولكن...

لم يتهيأ له- واحسرتاه-

ان يرى ما كتبت.

محي الدين زهنگنه

رنّ جرس التلفزيون فاسترد « ناسو » إصبعه من بين فتحات القفص الخشبي، حيث كان « ناسوس » المحبوس داخله ينقره، واضعاً حداً للذة العارمة التي كان يستشعرها من نقراته، ومن مشاكساته إياه.

وفرّ الى التلفزيون القابع في مقدمة الصالة. ولكنه لم يكد يدنو منه حتى أبصر والدته قد خرجت من المطبخ مسرعة، بكفين مبللتين تقطران ماء، فتراجع... توقف لحظة ثم واصل تراجععه... جمد عند القفص، وفكر!... قد يكون النداء لأبيه « هو يسمح له ان يكلم اصدقاءه... بينما هي لا تفعل ».

تناولت داليا السّماعه، بعد أن نشفت يديها بصدريتها.

- الو... نعم؟

وجاءها الصوت:

- الو... صباح الخير.

- صباح الخير... نعم.

- بيت فرهاد...؟ فرهاد باران خوشناو؟

اجابت بلهفة:

- اجل... اجل... من يريده؟... من المتكلم؟

بينما جاءها الصوت آلياً... خالياً من كل انفعال.

- نداء من اربيل... مطلوب من اربيل!

- اربيل...؟

واختضت.

وبالرغم من ان ابنها، وفي هذه اللحظة بالذات، كان قد انقطع كلياً عن لغوه وثرثرته مع طائرته العزيز الذي كان قد دخل معه في علاقة حب

صميمية، تعبر عن نفسها عبر صنوف من الهرج والصحب والقفز والرقص حول القفص والمداعبة والمشاكسة، بسبب انشداده هو الآخر، الى الرنين الذي انبثق من الزاوية اليمنى من الصالة، وترقبه القلق لوالده الذي لا بد ان احد اصدقائه قد طلبه، فانها قد صرخت به اولاً قبل ان تتسلم طرف الكلام من الجانب المقابل، بعد ان غطت فتحة السماعه بكفها:

- ناسو! كف عن الضوضاء.

وبين دهشة واستغراب وشئ من الاحتجاج السلبي، اجاب الطفل ذو السنوات الخمس بثبات:

- اني... لا افعل شيئاً... ياماما.

امتعضت داليا من جواب ابنها. ربما لانه، بالفعل، ماكان يفعل شيئاً.

فقالت بحدة أمره:

- خذ القفص واخرج الى الحديقة.

ومع ان ناسو مدّ يده فعلاً الى القفص... فان الام راحت تستعجله:

- هيا... ناسو... هيا.

ظل الطفل، هنيهة، ينظر إلى أمه مبهوتاً، فراحت هي تحته مشيرة اليه بحنكها واطراف اصابعها... ان اخرج... هيا... اخرج، لم يملك الطفل، ازاء هذا الالحاح الغريب، الا ان يتناول قفصه، ويتحرك نحو الحديقة. ولكنه إذ كان يخطو نحو الخارج اخذ يتلفت بين الفينة والاخرى الى امه التي امسكت بالسماحة السوداء واطبقت عليها بكفيها في حرص شديد، كما لو كانت تمسك بعصفور تخشى ان يطير.

خرج الطفل مرغماً، ناقلاً معه احساساً ظل ملازماً إياه... بانه قد ترك سؤالاً لجوجاً يبحث عن جواب في سماء هذا الاهتمام البالغ الذي تسبغه أمه على هذه السماعه السوداء.

الاسماء المتماثلة، عنواناً له، تطيراً منه وتخوفاً. ولكنه مع هذا اندمج مع حزنها، بعد ان طغى كلياً او كاد، على فرحها، واسرعت الى تحويل هذا المزيج المتناقض من المشاعر والاحاسيس التي تتوالد وتحيط بها من كل جانب الى دعاء حار:

«اللهم اجعله خيراً»

واضافت، تمنح نفسها المزيد من القناعة.

«خير... أن شاء الله خير»

وإذ ظل الصوت الآخر مختنقاً عبر الاسلاك، خيّل اليها «هي ارتأت ان تخيّل لنفسها» أن عامل البدالة ما يزال السبب في هذا التأخير، فراحت تستعجله بشيء من العصبية.

- أعطني أياه... أعطني دلشاد...

وأحست بالخلج من انفعالها وثورتها التي تفجرت على الرغم منها إذ جاءها الصوت هادئاً، خافتاً، لا يكاد يسمع:

- انه... انا... انا دلشاد... يا داليا.

- دلشاد؟.

وانشق، على حين غرة، جراب الاسئلة، فراحت تنهمر مطراً ربيعياً، لا يعرف التوقف.

- دلشاد... مرحباً. كيف انت؟ كيف عمي؟ كيف عمتي...!

كيف... كيف؟... كيف؟... كي...

وابتلعت برودة المقابل حرارة الاسئلة، وقطعت سكين الصمت الطويل، تدفقها المتواصل، فغصت ببقية الاسئلة في حلقها... اختنقت، خنقها الحزن الذي شملها ثانية. لماذا الحزن بالذات؟ أه يا إلهي لماذا لا أستطيع ابعاد الحزن عن كل مابات يحيط بي.

- ألو... نعم... نعم... من يتكلم؟... ألو... اربيل... اربيل...

- ألو... بيت فرهاد؟... فرهاد خوشناو...

تكرر السؤال ثانية، ولكن بصوت آخر...

- نعم... نعم... من الذي يطلبه؟

وتلكاً المقابل في الجواب بعض الوقت، عرفت انه يكلم شخصاً آخر.

ولم يلبث ان نقل اليها سؤال ذلك الشخص:

- فرهاد... موجود؟

اجابت مسرعة:

- موجود. من يريدُه؟ انا زوجته دعه يتكلم معي.

تلكاً الجواب مرة اخرى؛ ايقنت انه يستشير الشخص الآخر ذاك حول

اقتراحها، الذي يبدو انه قد حظي بالقبول:

- ألو... معكم دلشاد. دلشاد خوشناو؟

- دلشاد... ألو...

قالتها بسرعة فائقة، حتى قبل ان تترك الوقت المناسب لعامل البدالة ان يناول السماعه الى دلشاد، كان خوف، تجهل مصدره، من ضياع هذه الفرحة المفاجئة التي غمرتها، يحركها... وإذ تهيأ لها ان دلشاد قد تسلم طرف الخط، كررت صياحها بلهفة:

- دلشاد... مرحباً... دلشاد.

وقبل ان يأتيها صوت المقابل تزعزعت محاولاتها المستميتة في الاحتفاظ بفرحها كاملاً، إذ شابه، على الرغم منها، شعور آخر انبثق فجأة من جزء ما من تلافيف ذاكرتها المعجونة بالذكريات.

شعور... ب... بالحزن. قالتها متغلبة على ترددها، وخانقة في الوقت نفسه اسماً آخر لهذا الشعور الآخر، كان يهم ان يقفز من مستودع

شئ ما يقبع في لا وعيها، يتجذر هناك. وهذا الشئ متحرك مندفع، عنيف في حركته، قوي في اندفاعه، يكتسح كل ما يعترضه او يصادفه، ويفرض نفسه إلهاً متوحداً، في سماء افكارها... ومشاعرها. متحركاً فوق ارضية صلدة من تخوف شديد... وتطير مربع يشمالنها حتى النخاع كلما جاءها نداء او خبر، او احد، من اربيل حيث اهل زوجها، وحيث مجموعة عزيزة من علاقات انسانيه واجتماعية ذات جذور تتوغل بعيداً في عمر الزمن... الى ابعد من ربع قرن.

وهذا الشئ هو الذي يفرض الاسماء والعناوين على الاشياء حولها.

بل حتى على ما في اعماقها من مشاعر واحاسيس ويلونها بالحزن... والتشاؤم واخفقت هذه المرة في الابقاء عليه بعيداً عن افكارها، بل كررت بلا وعي... اجل التشاؤم... وهو الذي يتموج عبر نبرات صوت المقابل ايضاً، بشكل يكاد يلغي كل ما عداه...

- دلشاد... لماذا سكت...؟ هل هناك شئ.؟

أنساها يقينها المفاجئ بـ«الشئ» الذي هناك كل اسئلتها الاخرى، عن بقية افراد الاسرة، فرداً فرداً، كما تقتضى الاصول... وكما كانت قد قررت، بالرغم من برودة المقابل، ان تفعل.

- دلشاد... لماذا لا تتكلم؟

و... اخيراً تكلم دلشاد:

- فرهاد... في البيت.؟

اجابت بذهول:

- اجل... يحلق ذقنه. هل من شئ.؟

تجاهل سؤالها واكتفى؟

- ناديه... رجاءً.

قالها بنغمة رسمية، كأنها صادرة من انسان غريب. دهشت لها داليا:  
- ... ولكن... هل... هل ثمة شئ يا دلشاد؟ لماذا لا تخبرني...؟  
اخبرني ارجوك.

انفعالها المتصاعد، احاطها بحالة عجز كامل عن ابتداء اية صيغة اخرى للسؤال، صيغة تعكس قدراً اكبر من الاعتزاز بنفسها وبموقعها ضمن اسرة زوجها، يحمل المقابل ايضاً على الاقرار بهذا الاعتزاز، والتعامل معها خلاله، بعيداً عن الاستسلام والتهاك اللذين وجدت نفسها تمارسهما دون تصميم سابق. كان ينبغي ان تقول له، وانا لماذا لا تخبرني؟ الست زوجته؟ الست واحدة من افراد الاسرة شأنى شأن اي واحد منكم...؟ اذن لماذا... لا تصارحني؟ لماذا يا دلشاد؟

- داليا... أرجوك أسرع... الامر ضروري...

- ولكن... يا دلشاد لماذا لا تخبرني. ما الامر...؟

- اوه... داليا قلت لك اسرعي... ناديه هو... ارجوك...

واستسلمت مرة اخرى، ازاء لهجته الحاسمة. بلا ارادة منها فقالت بارتباك واضح:

- ح... ح... حالاً... حالاً. يا دلشاد.

وانتبهت الى انها ما تزال واقفة حيث كانت ممسكة بالسماعة.

وإذ ذاك. إذ ذاك فقط القت بها وهي تقول باستياء:

- ما دامت تلك رغبتك.

ابتلعت احساساً بالمهانة، ان ما يقال لزوجها، بالرغم من كل خصوصيته، ينبغي أن يكون بالامكان قوله لها ايضاً... والا فماذا يعني كونها زوجته؟ ان زوجها نفسه لا يخفي عنها شيئاً، اي شئ... اللهم الا... الا...

واسرعت تنفي ان يكون ثمة شئ خاص، اي شئ باي منهما دون الآخر.

أوقف فرهاد. الذي كان ما يزال يحلق ذقنه. في الطابع العلوي ضجيج آلة الحلاقة الكهربائية، إذ بدا له انه قد سمع نداءً، ولكنه في اللحظة التي مرر أطراف انامله على اسفل ذقنه يتحسس بقايا الشعر، اشغلها ثانية وراح يقتنص الشعرات القليلة المتبقية، المتناثرة هنا وهناك.

أسفل ذقنه وحول رقبته، متلذذاً بالرجفة الخفيفة التي تحدثها الآلة في جلده المحمّرة مدندنداً مع فيروز في اغنيتهما الصباحية التي يبثها المذياع في هواء الغرفة:

سني عن سني

عم تغلي عَ قلبي عهد الولدني

يا حلو يا حبيبي الما ابيعك بالدني

وكل سني بحبك اكثر من سني

أبعد الآلة عن وجهه. تناول سيجارته من فوق المنفضة، اخذ منها نفساً عميقاً، نفخه. فتلاشى الدخان فجأة بفعل الحركة العنيفة التي تحدثها المروحة في الهواء. أعادها الى موضعها... وعاد هو يتطلع عبر الشباك المطل على حديقة المنزل الصغيرة الى «ناسق» في الحديقة، تحت ظلال شجرة التوت الوارفة مع طائرته يمد له سبابته. واذ يحاول نقرها يسحبها بسرعة وخفة ونشوة عارمة، يختض لها جسمه النحيل. ويطلق ضحكات صافية، متقطعة سرعان ما تجد صداها عند ابيه خافتاً. إذ يكتفي بان يوسع من ابتسامته مبتهجاً بضحكات ابنه العامرة بالحياة التي كاد المرض اللعين الذي ابتلى به قبل اسبوع واحد فقط ان يمتصها من بدنه ويعيده اليهم عوداً اعجف، ملازماً سريره الذي غدا طيلة الاسبوع الماضي جزءاً منه. بلا حركة ولا نأمة ولا صوت... اشبه... بس... جثة... ومن

لقد باتا كياناً واحداً، ولم يعد ثمة فرهاد ولا ثمة داليا، وغدا سائر افراد العائلتين يتعاملون معهما على هذا الاساس ايضاً.

عدا... عدا... دلشاد، الذي لسبب ما. ما تزال تجهله، وحده من بين الكل. يعتبرها غريبة عن الاسرة، ويحرص دائماً ان ينقل اليها هذا الاعتبار بمناسبة او بدونها... وها هو الآن يكرر معها ما اعتاد عليه من معاملة خاصة لها.....

ذلك شأنه...!!

قالتها باستهانة، اورثتها مرارة، هازةً كتفها، محاولة التعبير عن اللا مبالاة، التي ارادت ان تتظاهر ازاءه... وازاء الامر كله...

صاحت على زوجها...

- فرهاد... فر... ا... ا د



هز رأسه بعنف محاولاً تمزيق تلك الصورة السوداء التي وجد نفسه  
أزاءها أشبهه بذبابة تطبق على أنفاسها... نسيج العنكبوت يحيط بها من  
كل جانب ولا يترك لها حتى فتحة تتنفس خلالها. ولكن الصورة كانت  
أقوى منه... فقد التصقت بدماغه كجزء منه...

هرب من الشبكة العنكبوتية الرهيبة... بالتحدث الى ناسو نفسه:

- ناسو؟...

رفع ناسو رأسه نحو شبك المطبخ المطل على الحديقة، إذ... تصور ان  
الصوت قد اتاه من هناك.

- هنا ناسو... هنا... فوق.

ورنا الى الاعلى هذه المرة... وبالرغم من ان كثافة اوراق وغصون شجرة  
التوت كانت قد حجزت اجزاء كبيرة من الشباك فانه خاطب اباه:

- ها... بابا...؟

ولم يكن لدى الـ «بابا» شئ هام يقول لابنه... فاكتفى بان قال على  
سبيل المداعبة:

- انتبه سيأكل اصبعك...

وجاءه الجواب، عبر قهقهة عالية، سريعاً:

- من؟ ناسو؟ انا اسرع منه يا بابا.

ففجر في روح الاب حياة عبرت عنها ضحكته العالية:

- هاهاها... هاهاها...

وغمرته موجة عاطفية مفاجئة فقال دون اية فكرة سابقة:

- ناسو... تهباً... سأخذك الى حوض الاسماك.

- صحيح؟ وناسو بابا...؟ هل نأخذه معنا؟

- لا... بابا... لا... ناسو نتركه في البيت.

واندفع فرهاد ثانية يأتية بالماء...

- اين تذهب بكل هذا الماء يا ولدي...؟

- اين يذهب به... يسبحه ثانية...

وبللت داليا قطعة قطن وراحت تمسح بها شفتيه...

ولكن الطفل كاد يلتهم القطن...

- اسكبي في حلقه بضع قطرات... بضع قطرات لا تضر... لقد نشف

جسمه...

وبصعوبة... استطاع الطفل ان يدس بضع قطرات، من الماء في حلقة...

إذ راح معظم الماء يسيل على جانبي شفتيه.

واغتم وجه الطفل ثانية، وتكرمش بشكل غريب...

- ناسو... بابي... ماذا بك...؟

- بس... طني... م... ا ما... بط... ني... اه.

- فدوة لبطنك... روحي.

وراحت تغمره بالقبل، تغسل وجهه بدموعها الحرى...

- فرهاد... فرهاد...

لم تجد ملاذاً آخر... فلاذت به ثانية... إذ رأت الطفل يتلوي...

- لنذهب به الى بغداد.

حزمت امرها بسرعة...

- لو بقينا على هذه الحال لسالت حياته مع قيئه...

واضافت:

- واسهاله.

إذ تحسست الرطوبة قد تدفقت مرة اخرى فوق فخذيهما...

\*\*\*

- لماذا؟ يا بابا... لنأخذه معنا... ارجوك... يا بابا  
 - لا... ابني... لا... ماذا تريد الناس يقولون عنا؟  
 - لا احد يقول شيئاً... واللّه...  
 ثم حسم الطفل الامر من جانبه:  
 - اذا كنت لا توافق... فلا اتي...  
 - ها؟.

- اذهب انت وماما... انا اظل مع «تاسوس»

\*\*\*

في اليوم الاول من خروج «تاسو» من المستشفى جاءه رسول من ابيه،  
 من اربيل... قال لفرهاد:

- والدك يعتذر كثيراً عن المجيء بنفسه، بسبب اشغاله الكثيرة...  
 ولكنه سيأتي قطعاً.

- أهو بخير؟

- بخير... وقد ارسل بهذا «القبج» هدية لـ(تاسو)...

- تاسوس؟... كيف؟ انه يعتز به كثيراً

- ولهذا السبب ارسله الى تاسو بالذات... قال لا املك شيئاً افضل منه

واحب إلي، كي اهديه الى احب أنسان إلي.

- اوه...

تأثرت داليا... بالغ التأثر...

- كم يحب عمي تاسو...!!

وسأل الرسول:

- اين هو؟... اين تاسو...؟

- ما يزال ممدداً في الفراش...

- في الفراش؟ اما زال مر...

- لا... لا... لقد تحسن كثيراً... وسيقفز من فراشه اول ما يرى هدية  
 جده.

ولكن تاسو لم يقفز من فراشه... وانما سحب تاسوس وقفصه الى  
 الفراش.

ومنذ ذلك اليوم تعلق «تاسو» بـ «تاسوس» كما لم يتعلق بأي شيء  
 آخر... حتى غدا مشكلة حقيقية للوالدين أن يحدث شيء لـ«تاسوس» كأن  
 يموت مثلما مات ذات مرة بلبله... فماذا يحدث للطفل؟. ما الذي يعزیه  
 عنه...؟

\*\*\*

ها... بابا...

وإذ لم يسمع جوابه، صرخ بصوت أعلى:

- بابا... بابا... توافق؟...

- ها؟... سأفكر في الامر- يا تاسو- سأفكر...

ولم يكذب يعود امام المرأة ثانية... حتى جاءه الصوت مرة اخرى:

- فرهاد... فرهاد

فاخرجه من شروده... إذ كان هذه المرة اقوى من ان يتترك عنده أي  
 التباس او يسمح له بالاستمرار في شروده، أو في المتعة التي كان  
 يستشعرها من ملمس آلة الحلاقة لبشرته. بل حتى ان يتيح له وقتاً  
 للتخطيط لمشروع الزيارة التي وعد بها ابنه.

ولكنه وبالرغم من كل ذلك الوضوح واليقين، تساءل:

- داليا... تنادينني؟

ربما فقط لكي يعزز عدم سماعه في المرة السابقة.

خفق ضجيج الآلة مرة أخرى واقترب من باب الغرفة فجاءه الجواب بوضوح تام:

- منذ ساعة وأنا اناديك. ماذا جرى لك؟ الا تسمع؟

وقبل ان يرد عليها عاد بضع خطوات الى الوراء... أخفت... صوت المذياع بعض الشيء... واسكت نهائياً الضجيج الذي كانت تحدته المروحة الكهربائية الهرمة في الغرفة... وسألها:

- ماذا هناك يا داليا؟

اجابت داليا باقتضاب شديد:

- تلفون.

بينما تساءل هو بلهفة:

- تلفون؟ لي؟ ممن؟

اجابت داليا:

- من اربيل.

- اربيل؟

كرر هو بألية ولكن بلهفة متصاعدة وازدحم رأسه فجأة بصور واسماء عديدة، اختار منها بسرعة اقربها الى نفسه:

- الوالد؟

- لا... اخوك.

واضافت بنبرة خاصة:

- دلشاد.

- دلشاد؟

والقى بماكنة الخلاقة التي كان مايزال ممسكاً بها، في موضعها وخطف بقايا سيجارته... ولكن السيجارة كانت قد اكلت نفسها واتت على

آخرها... ولم يعد ثمرة غير جزء صغير منها... سحقه تحت قدمه واخذ يطوي درجات السلم بسرعة فائقة، طويلاً. وإذ بلغها كانت ما تزال واقفة اسفل السلم بجمود.

سألها:

- ألم يقل شيئاً؟

ودون أن ينتظر جواب سؤاله الذي القاه عليها، اسرع نحو التلفون... هي الاخرى لم تهتم بالرد عليه، إذ توجهت مباشرة الى المطبخ بأمل أن تواصل غسل الصحون والاكواب، التي تركتها هناك. ولكنها لم تكذ تفتح صنبور الماء حتى سدته ثانية وعادت الى الصالة امتلأت اذناها بصراخ زوجها:

- الو... دلشاد... أجل... أجل... أنا فرهاد... كيف أنت...؟ كيف الحال كيف الوا...

واذ ابتلع اسئلته، واكتسى وجهه جمود وترقب. ادركت ان ما حدث معها يكرر نفسه بشكل او بآخر، معه هو الآخر، وان المقابل من القسوة بحيث يرد كل الاسئلة الى الجوف. ويخفق أجنتها ببرودة جليدية قاتلة:

«ربما- قالت لنفسها على سبيل الطمأنينة، وكنوع من العزاء- ربما لدى المقابل ما هو اهم من كل هذه الاسئلة التي يفجرها في الانسان عادة لقاء الاحبة والاقارب بعد طول الغياب وبعد المسافات.

وحين سمعت زوجها يقول باضطراب يلاشي نغمات الفرح باللقاء ويرسم بدلاً عنها تجهماً في وجهه، ويكاد يحبس انفاسه:

- أ... أجل... أجل... د... دلشاد... اسمعك بوضوح... ماذا

هناك؟... هل... هل... هل من شيء؟... ها؟... ها؟.

عرفت ان امراً غير عادي قد وقع، او انه في سبيله الى ان يقع، وان هذا الامر هو الذي جعل زوجها يفقد رصانته فجأة ويتشبهت بالسماعة

على ذلك النحو الغريب... يستنطقها يتوسل اليها... يستعجلها... وهو نفسه ما جعلَ اخاه الذي لم يسبق له ان تلفن اليهم... ان يتلفن اليهم الآن.

وبالرغم من ان المسافة بينهما، كانت تقصر باستمرار. بفعل اقترابها الدائب منه، فانها الغتها كلياً، حتى كادت تلتصق به، وتدخل اذنها في اذنه او في فتحة السماعه، واذ اصطدمت به تراجع فرهاد قليلاً يفسح لها مجالاً، مدت داليا عنقها، حولت كل كيانها الى عين مفتوحة الى آخرها، تحاول ان تقرأ كل ما ترسمه الكلمات القادمة عبر السلك الجامد من اربيل في وجهه المحمر الحليق لتوه، من انفعالات حية، وترصد كل ما تحدثه على صفحاته الملساء من تغييسيرات وتبدلات في اللون والانقباض والانبساط، والى اذن مفتوحة هي الاخرى الى آخرها، تطمح ان لا تقف عند حد التقاط كل ما يلفظ به زوجها فقط وانما تلتقط وينفس القدر من الوضوح كل ما يأتي من هناك عبر الخطوط المعدنية الباردة، الملهية بمشاعر وانفاس الطرفين.

خمنت، بل أيقنت، ان المقابل قال لزوجها. او قال له ما معناه «لا وقت لهذه الاسئلة الآن يا فرهاد» مثلما قال لها قبل قليل... وان كان بصيغة أقل قسوة.

أخذ صوت زوجها يرتجف. يتقطع. واخذ قلبها يرتجف وانفاسها تتقطع ومشاعرها تتناقض.

- نعم؟ ها...؟ أكيد؟... آه... متى؟ متى بالضبط؟ ها؟ اليوم، اليوم صباحاً؟ آه... ولماذا انتكس؟ أكان يعاني من شئ؟... ها؟... منذ... منذ متى... متى تقول؟ شهر؟... شهر بطوله... ولم تخبروني حتى برسالة؟ معك الحق... معك الحق... ليس هذا وقت عتاب... ليكن... ليكن...

واخفت داليا في الاستمرار بالاقصصار على احتراقها الداخلي، فتساءلت بقلق واضطراب:

- فرهاد... ماذا هناك؟ يا فرهاد...

ولكن فرهاد وهو في غمرة صراخه وانفعالاته كان قد نسي تماماً ان ثمة انسانة بجانبه، لصقه، لا تباعد عنه قيد شعرة، يفترسها القلق والاضطراب والالام، تلتصق به، تتمسح به، تتنفس أنفعالاته... واضطرابه... وتتشرب حركات وجهه.

- حسناً... حسناً... سنحاول... نحاول ماذا بوسعي ان اقول اكثر... يا دلشاد... اسمع... دلشاد، اليس بوسعي ان اتكلم معه؟ ها؟ لا... لا؟ ايدياً؟ اه...!! دلشاد ارجوك فقط دعني اسمع صوته لا؟ لا يمكن...؟ لماذا بالله...؟ ها؟ ما الذي تقول. فقد القدرة على النطق-؟ كلياً... كلياً يا دلشاد... أه... يا الهي!! على قدر المسافة، قبل الثانية عشرة، لا... لا اعتقد يا دلشاد؟ لا تنس انتم في اربيل ونحن في الحلة... اكثر من ستمائة كيلو متر. اسمع يا دلشاد ما دامت حالته بهذه الخطورة لماذا لا تأخذونه الى المستشفى؟ هم أخرجوه...؟

اه... هي اذن حالة يأس تام... اه...

وفقدت داليا القدرة على تمالك اعصابها.

وبالرغم من ان شكوكها قد بدأت تتراجع امام يقين يزحف بقسوة حيوانية. فانها تساءلت بقلق شديد.

- من هو يا فرهاد؟ من المريض؟

وحين أيقنت أن وجودها مهمل من قبل فرهاد امسكت به بكلتا يديها... وراحت تهزه:

-فرهاد... فرهاد... الا تسمعني؟

ودون ان يخرج فرهاد فاه من فوهة السماعه قال:

- لحظة داليا... لحظة واحدة... نعم... نعم... دلشاد... اسمعك... اجل... اجل...

وبدا على داليا انها على وشك ان تجن فصرخت به:

- فرهاد اخبرني. فرهاد... اني اتمزق

وأخذت تخضه بعنف وعصبية:

- ما الذي تريدن؟. انه ابي... ابي يحتضر

قالها بعري وقسوة مريبة... ودون ترو

حاول أن يتدارك الأمر، ان يخفف من قسوة العري ويشاعته... ولكن  
الاولان كان قد فات... اذ كانت المرأة قد استسلمت كلياً لفشلها التام في  
محاولاتها لكبت انفاسها، التي اخذت تتصاعد بشكل غريب، ولم تلبث  
ان تحولت الى بكاء متشنج، اوقعه في حيرة شديدة لم يستطع معها ان  
يقول اكثر من:

- كفى... كفى الان... ها؟ - لا... لا... انها داليا...

داليا... بدأت تبكي... ها! كيف لا اخبرها يا دلشاد- كيف لا  
اخبرها...؟ لا بد ان تعرف... حسناً... حسناً...

٢

أسقط فرهاد السماعة في موضعها، ظل مرتقياً عليها لفترة، وإذ تطلع  
الى وجه زوجته المشع ابدأ، وجده تماثلاً من الشمع تتحدر فوقه قطرات  
من الشمع المصهور تتكسر فيها اضواء الصباح.

ولكن التمثال الجامد إذ تواجه مع الوجه المحمر، الحليق حديثاً، وجده  
قد تبدل لونه تماماً، فقد اكتسبه صفة بشعة اشبه بصفرة المو...

وقطعت الكلمة من منتصفها، حابسة أفكارها السوداء من الاستمرار  
في اندلاقها، مبعدة في ذهنها تلك الصورة الرهيبة التي كانت تحاول أن  
تسلل اليه.

وكي تشحن المقابل، او بالحري تشحن نفسها، ببعض الشجاعة التي  
أخذت تغور منهما، وتختفي ملامحها من على وجهيهما، قالت بصوت  
يخنفه الاسى:

- قد لا يكون الامر بالخطورة التي...

ولكن الجواب جاءها سريعاً، قاسياً، صدى لما كانت تصارعه وتكافح  
في سبيل خنقه في داخلها:

- اخشى ان يكون الامر اكثر خطورة...

وأكد قوله بهزات ألم من رأسه، واطاف:

- ولهذا لم يأت احد منهم لعبادة تاسو بالرغم من اني خابرتهم في  
اليوم الاول من دخوله المستشفى. استحال صوته رصاصاً مصهوراً ينزل  
في لحمها تأوهت بحرقه:

- آه...

وغطت فاهها وفتحتي أنفها بكفها، دافنة عينيها المخضلتين بالدموع  
في ارضية الصالة، بينما كان فرهاد يحدق في المجهول ويتكلم بلا  
رحمة... بلا رحمة...

- لا بد أن يكون الامر كذلك... ولهذا لم يدعني اتكلم معه... وتهالك على مقعد قريب، وراح يعصر وجهه، ويحلج نفسه بمازوكية:

- وقد لا نحظى حتى بالنظرة الاخيرة منه... آه... آه... ما اقسى ذلك... ما اقسى كل شئ.

واستمر يقشط قشور جرح لما يندمل... ويتمادى في تعذيب نفسه وتعذيبها، متوغلاً في لحمها الممزق باقدام مملحة...

- لقد فات الاوان... فات الاوان يا داليا...

وهم ان يضيف شيئاً آخر، واشياء اخرى ولكن الدموع انطلقت من محبسها... فاختنق صوته... خنقته الدموع الخرساء او خنقها وجودها امامه... فاستحال الى ما يشبه خوار حيوان جريح يوشك ان يلفظ أنفاسه الاخيرة.

ألم داليا، فوق ألمها، ما يعانى زوجها من آلام، ودت لو تواتيه المرأة أن يطلق العنان لدموعه، ولا يحبسها في هذا الصمت القاتل، لا... لان ذلك من شأنه ان يخفف بعض الشئ من آلامه فقط، وانما لانه أيضاً يمنحها المبرر كي تتخلص هي الاخرى من ينابيع دموعها المتفجرة، المختنقة تحت جفنيها، والجارية بخفية مكتومة... تفضحها بين الفينة والفينة، شهقة او آهة حري او مخطئة... او ضربة... و... وفجأة احاطت فرهاد بكلتا يديها:

- كفاك فرهاد... كفاك... رحمة بنفسك وبى.

وكطفل غرير الجأه رعب شديد الى احضان أمه، أستسلم لها فرهاد باحساس انه قد غدا ضعيفاً، ينخر فيه الضعف والالم كمجموعة من الديدان الشرسة تنخر في شجرة عجوز شوهاء.

وانه قد بات في حاجة شديدة الى انسان يسنده... يمنعه من السقوط.

كان وجهه بين كفيها ينتفض، وكفاه فوق كفيها ترتجفان.

- فرهاد... حبيبي... لو تكف عن تعذيب نفسك.

وفجأة أدركت مقدار السخف واللامعقول في كلامها، فارتمت فوق صدره بخجل شديد، هل ثمة من يرغب في تعذيب نفسه لو امتلك الانسان القدرة على عدم تعذيب نفسه... او حتى على الكف عن الاستمرار فيه... أتراه... يستمر؟

ولكنها كانت هي الاخرى تتعذب، وكان عذابها يريك افكارها يفقدتها القدرة على التحكم في ضبط اقوالها... او السيطرة على افكارها واعصابها، فتقول اشياء دون ترو... دون ان تدري ما الذي ينبغي ان يقال. وما الذي ينبغي الا يقال  
كان فرهاد يهذي...

- المسافة بين الحلة واربيل تستغرق اكثر من سبع ساعات... انى لي ان اقطعها خلال ثلاث ساعات، ثلاث ساعات فقط.

والقى نظرة عفوية على الساعة المعلقة على الحائط، كانت تقترب من التاسعة، كما حدس بالضبط، فاكد قوله:

- ثلاث ساعات... ثلاث ساعات فقط... اللهم هات لي جناحاً من لدنك...

شهقت داليا:

- آه...

بينما كان هو يواصل هذيانه او ما بدا لداليا انه اشبه بالهذيان اللا مسؤول.

- شئ ما اخفاه عني دلشاد... شئ في غاية الخطورة...

وسكت... هنيهة واطاف:

- يخيل إليى ان ما يتم في الثانية عشرة... هو الدفن... انطلقت من داليا شهقة اخرى عميقة... عالية، انتبه فرهاد لوجودها، فرفع اليها

عينيه... كانت تتلوى... وتنتحب بصمت.

- داليا...

ولم يستطع ان يزيد حرفاً...

- اوه... فرهاد... لماذا هو... لماذا هو بالذات؟.

أحتضنها فرهاد

- داليا...

كان يريد ان يقول لها شيئاً... ولكنه ما يكاد يبدأ حتى تخنقه...  
الدموع...

وبعد صراع مع دموعه وعواطفه، خيل اليه انه حقق انتصاراً على  
نفسه. فاضاف:

- داليا... كفى... لا تدعي الولد يحس شيئاً...

ومدّت أناملها لمسح دموعها، ولكنها شهقت شهقة اخرى وراحت  
عينها تمطران بغزارة:

- من بقى لنا بعده... يا فرهاد؟... من؟... من؟.

- داليا... ارجوك...

وإذ انتبه فرهاد الى الصفاء الذي عاد الى نبرات صوته، للمرة الاولى.  
ادرك انه قد مضى شوطاً، بعيداً، ابعده منها على الاقل، في التغلب  
على نفسه، وعلى عواطفه. الامر الذي شحنه بقوة جديدة... وقدرة على  
السيطرة اكبر فقال بهدوء...

- الدموع لاتجدينا يداليا... بالاضافة الى انها تبدد من وقتنا ساعات  
نحن بمسيس الحاجة اليها...

وفي اللحظة التي همت ان تؤمن على قولها زاحمتها... دموعها كرة  
اخرى:

- تهى... تهى...

وعجزت عن قول اي شيء... بعدها...

بينما اضاف فرهاد في هدوئه:

- مع كل اجلالي لما انت فيه... فان علينا واجباً اساسياً ينبغي ان لا  
ننساه...

وإذ رفعت اليه عينين محمرتين، نكس هو برأسه:

- علينا أن نتحرك...

قالها بحسم... ثم استمر بألم ووهن:

- تلك بعض مظاهر القسوة التي تغلف كل شيء من حولنا... كل شيء.

وبينما كانت داليا تقول بصوت لا يكاد يسمع:

- صحيح... لا ينبغي أن نتلف وقتنا بالبكاء...

أنفجرت تبكي بحرقة وتشنج... مما حمل فرهاد أن يكون اكثر صلاية:

- داليا... ارجوك... انا ادرك كم في طلبي من قسوة ولا انسانية ولكن  
ما العمل... ما العمل يا داليا...؟

أمنت على قوله بصدق:

- صحيح... ما تقوله صحيح...

واختنق صوتها بالبكاء، وهي تفضح عجزها...

- ولكن ليس الامر بيدي... ليس... ماذا افعل...؟...

وراح يربت على رأسها بحنان تفجر في اعماقه... وغمر كل كيانه لهذه  
المرأة المرقية في احضانه بوهن وضعف... ثم أحاطها... بكلتا ذراعيه...  
وأخذ يقبلها كطفلة صغيرة.

- والآن كفى... يا داليا... ارجوك... من اجلي ها... من اجلي... كفي عن

البكاء الآن... الآن على الاقل...

واضاف بعمق... وبشعور من يبصر كارثة مقبلة ولا يملك إزاءها شيئاً...

- سيكون ثمة وقت للبكاء... وقت طويل... ياداليا... وقت ربما...  
يستغرق... العمر كله...

أخنتق صوته هو هذه المرة... فاكتفى باحاطة وجهها بكفيه استسلمت له... القت رأسها على صدره. واذا احست ان صدره قد اخذ يعلو ويهبط، وان مشاعره قد اخذت تهاجمه، تفترسه بشراسة من الداخل، وانه بات يعاني الكثير من العذاب، في سبيل الاحتفاظ بهدوئه إزاءها من اجلها فقط... فرّت:

«أجنبه بعض العذاب»

وراحت تقفز درجات السلم المؤدي الى غرفة نومهما في الطابق الثاني، حاملة معها ينابيع دموعها... وبراكين عواطفها... تطلقهما هناك، وحدها، ماشاء لها الاطلاق.

- آه... ما اشد قسوة الاشياء... ما اشد قسوة الحياة...

قال ذلك وهو يضرب جبينه بجمع كفيه بشدة.

ونهض الى التلفون ثانية... يسحل نفسه نحوه سحلاً.

٤

لم ينتبه فرهاد الى دخول ناسو، ولا الى وقفته المذهولة بجانبه، الا حين أخذ يلتصق به ويخضّه:

- بابا... انت تبكي؟

وبوغت الرجل. واعتدل في جلسته:

- ها؟...

ومسح دموعه بسرعة:

- لا ناسو... حبيبي... لا.

الا ان الطفل بالرغم من تأكيد أبيه، ظل مصراً:

- عيونك ممتلئة بالدموع.

ولما عزت الحيل بيده ازاء اصراره الطفولي قال:

- رح العب ابني... رح للحديقة.

ودفعه عنه برفق

ولكن الطفل لم يتحرك ظل ملتصقاً به، يريد أن يقول له شيئاً بيد ان مرأى الدموع في عيني أبيه يحبسها في صدره.

ادرك الاب، من تجاربه السابقة مع ابنه، أنه يريد شيئاً ما أو على الاقل لديه شيء يريد الافضاء به اليه، فسأله برقة:

- ناسو... هل تريد شيئاً؟...

وهز الطفل رأسه هزة لم يعرف الآخر مغزاها...

- ماذا لديك... يا ابني؟

وهم الطفل ان يتكلم، ولكن احساساً بأن ما لديه قد لا يكون مناسباً مع مافيه أبوه جعله يسكت... ويكتفي بدفن وجهه في حضنه، بينما راح هو يداعب خصلة الشعر الاشقر المتدللية فوق جبينه، فيحس للمسه نعومة لذيدة. واذا تسقط يده، عفواً، على صدغيه يردّها بسرعة وألم... ويعود

يداعب الخصلة الكثيفة المتدللية التي باتت، بعد ان حلقوا للطفل في المستشفى كل شعره عدا مقدمة الرأس... الذكري الوحيدة المتبقية من ذلك الشعر الاشقر الطويل المسترسل، الذي كانت ذوائبه تلامس كتفيه... يالها من ذكرى اليمامة.

\*\*\*

قال له طبيب المستشفى:

- لا بد من بقاءه في المستشفى بضعة ايام.
- ولكن يادكتور...
- لايد... يا ابني...
- اننا نسكن الحلة... ولم نهى... له...

قاطع الطيب:

- يا ابني المرض لا يفرق بين الساكن في بغداد او في الحلة او في اي مكان آخر.

- اقصد...

- عليك أن تأتي له بدشداشة بيضاء واخرى لأمه.
- و حين همّ أن يعترض... اعترضته داليا بألم:
- فرهاد... أفعل ما يقوله الدكتور.

وجرى بعد ذلك كل شيء بسرعة مذهلة... بمجرد ان همس الطبيب شيئاً في اذن ممرضة... حتى ان طفلاً آخر... يبدو انه قد قارب الشفاء أخرج من غرفته وادخل فيها ناسو... ثم أخرج ثانية، وأقتيد الى غرفة اخرى من قبل ممرضتين. وبعد فترة قصيرة أعيد الى غرفته الاولى... بعد ان زحف جلد وجهه الى أعلى مغطيا صدغيه. وكاد يغطي الرأس كله لولا... جسر ضيق من الشعر بقي يربط مؤخرة الرأس بمقدمته. شاءتا ان تتركاه... صعق فرهاد لمرآه...

- ما هذا؟ ماذا فعلت بابني؟

اجابت احدهما:

- اذا كان ابنك يتقيأ كل ماينزل في معدته فلا بد من ايجاد طريق اخر لتغذيته.

تساءل بدهشة:

- طريق آخر...؟

- طبعاً... الوريد...

واشارت الى الحبل الأزرق الخفيف... الذي بدا بوضوح بعد نزع الشعر من صدغيه، متمدداً فوق اذن الطفل من...

\*\*\*

آخ...

صرخ ناسو... الذي كان مستسلماً، في البداية، بلذة لمداعبات ابيه لشعره، فجأة، بعد ان أحس به يضغط على الجرح الصغير فوق أذنه اليسرى.

وانتبه الأب أثر صرخته، أنه كان يضغط على الوريد دون ان يدري.

- آسف... ناسو... آسف... لقد سهوت يا ابني... أيؤملك...؟

أما يزال يؤملك...؟

- ليس كثيراً يا بابا... فقط حين أضع عليه اصبعي...

وعاد يدفن رأسه في حضن أبيه، بعد أن أمسك بكفه ووضعها بنفسه ثانية فوق رأسه.

تساءل فرهاد:

« ترى ما الذي يريده الطفل... لعله يطلب اليه ان يتهيأ للزيارة التي وعده بها ».

\*\*\*

قبل يومين، قال له ناسو، وهو يمسك بكلتا يديه:

- بابا... خذني الى حوض الاسماك.

- حوض الاسماك... اين هو هذا الحوض؟

- حسين يقول... على طريق النجف... فيه اسماك ملونة احمر... اصفر...

ايض... هل ستأخذني بابا...

- اجل... ابني اجل...

- وماما ايضاً، ها؟...

- وماما ايضاً يا حبيبي.

- ... و... وحسين ايضاً... بابا... انه... صديقي جداً!

- وحسين ايضاً... يا ولدي... حاضر... أنت تأمر يا حلو!

وقهقها بفرح طاغ... غمرهما معاً...

\*\*\*

آه...

تمنى من كل اعماقه ان يكون ناسو قد نسي الوعد الذي قطعه له... و  
ولكن... ترى... أنسيه حقاً؟

اذا كان قد نسيه... فلا يحسن ان اذكره به... ولكن علي ان اتأكد اولاً:

- ناسو... بابا... لم تقل لي ماذا تريد؟

سأله وهو يهني ذهنه لجواب يقنع الطفل ولا يترك في نفسه حسرة، او  
يظهره بمظهر الكاذب بسبب تخليه الاضطراري عن الالتزام بوعدده.

ولكن ما عند ناسو... كان امراً آخر... مختلفاً تماماً عما كان يدور في

ذهن فرهاد:

- «ناسو» بابا... ناسو جوعان.

لم يستطع الأب ان يصدق ما يسمع، فتسأل بدهشة واستنكار:

- ناسو؟

واذ أحس الابن بنبرة الاستنكار عبر تساؤل ابيه، نكس رأسه... بينما  
كان الاب الفارغ ذهنه تماماً عن كل ما يتعلق بالطائر... ما يزال يعاني  
صعوبة في تصديق ما سمعه:

- اقلت ناسو؟

اجاب الطفل متردداً، بصوت خافت اشبه بالاعتذار:

- آ... آ أجل بابا... أجل. ماذا افعل له؟. انه جوعان؟

اذن فالطائر جوعان...

كان بوسعه ان يهيء نفسه لسماع أي طلب منه بل ومناقشته ايضاً  
حول طلبه... وربما الوصول الى تحقيقه او على الاقل ايصاله الى حالة من  
الاعتناء، لا يعود الطفل بعدها يحس غيباً او غضاضة... أو... ولكن.

ناسو جوعان؟

ما كان، لا ناسو ولا جوعه ولا اي شيء يتعلق به، ليخطر له في  
هذه اللحظة بال، ولا يتوسم في نفسه اية قدرة للاستجابة باي شكل من  
الاشكال مع... مع ناسو!!

آه... يا ولدي... مع حبي العميق لك... وتعلقني بكل كلمة تلفظها...  
شفتاك الحبيبتان، لست في وضع يسمح لي بالاستماع الى حديث عن  
طائر.

بعد فترة صمت قصيرة، كان القلق خلالها يكاد يستحوذ على كل  
كيان الطفل... أخذ هو يتغلب شيئاً فشيئاً على انفعاله. لكي يقول  
بصوت حاول جاهداً ان يبدو طبيعياً:

- مالذي تقوله يا ناسو...؟

واضاف كما لو كان يخاطب صديقاً له... لا طفلاً صغيراً.

- بالله عليك!!

وتصور الطفل ان سؤاله الخالي من اي أنفعال، هذه المرة، بقصد التوضيح والتأكيد فمنحه تصوره هذا المرأة ان يقول بنزق.

- ماذا بك يا بابا أنت لا تفهم... أقول لك ناسوس جوعان. الا تدري ماذا يعني جوعان؟

اشتدت معاناة الاب في خلق جسر للتواصل مع ابنه لمشاركته مشاعره ازاء الطائر. أو حتى في الاستمرار في الاستماع الى حديث عنه...

دفعه عنه بشئ من الحشونة حريصاً مع هذا، على عدم جرح احساسه، وقال من خلال ابتسامة شاحبة كابد الكثير في اصطناعها:

- والان كفى يا ناسوس... كفى يا ولدي... اذهب... اذهب... الا ان الطفل رفض بعناد الانصياع لطلب ابيه:

- «ناسوس» بابا... «ناسوس» يموت اذا لم يأكل...

وابي؟ يا ناسوس؟ ابي؟ الا يهكم موته؟

انه هو الاخر في سبيله الى ان يموت... ان لم يكن قد مات حتى الان... وانت لا يهكم سوى موت طائر...

تصاعد استياؤه من ابنه، جراء تفكيره على ذلك النحو، فدفعه بكلتا يديه يبعده عنه...

- اوه... ناسوس... ارجوك... دعني... دعني الان؟.

وما كاد الطفل يرى التجهم المفاجيء على صفحة وجه ابيه، وتخدش اذنه النبرة القاسية الغريبة في صوته ويحس باصابعه على جسمه النجيل تدفعه الى الوراء، حتى احمرت عيناه... واخذ فكه الاسفل يرتجف... وبدأ

يعاني صعوبة في ابتلاع ريقه... «سينخرط في البكاء... كما اعتاد ان يفعل كلما تأزم الموقف معه»

اقلقته الفكرة التي مرقت في ذهنه، فلم يترك لنفسه اية فرصة للتأكد من مدى صحتها، فاسرع يحيطه بذراعيه. يسحبه نحوه كمن... يستغفر

عن ذنب اقترفه على الرغم منه...

- ناسو ابني... انت لم تعد صغيراً... أقصد انه قد بات في وسعك ان تفهم ما اريد أن أقوله لك...

كانت الكرات البلورية السائلة. قد تجمدت في العينين الذابلتين... وبظاهر كفه راح ناسو يمسخها... بينما كان الاب في حيرة حقيقية... «ماذا أقول له... كيف أقوله له... أه...» ما الذي يجعل طفلاً لا يتجاوز عمره سنوات خمساً فقط ان يدرك معنى الموت؟ وان يكون هذا الادراك. بالضرورة، موازياً لادراكه هو، وان يحدث فيه التأثير نفسه الذي يحدثه فيه... ان يفتح في قلبه هو الاخر جرحاً لا يندمل.

عند هذا الحد من التفكير... رنا الى ولده بعمق وحنان «جلد وعظم» تذكر كلمات زوجته، قال في نفسه: «ما يزال مجموعة من العظام في كيس من الجلد». ويدا من خلال دشداشته الطويلة البيضاء التي أصر على ارتدائها، بعد خروجه من المستشفى... مجرد هيكل عظمي، يتراءى عظامه بوضوح عبر الدشداشة الرقيقة... «لا ينبغي أن اقسو عليه... يكفيه ما تحمل من قسوة مرضه اللعين...» بعد كل شئ، قد يكون لديه ما يبرر هذا التعلق بطائره، هو بالنسبة اليه يكاد يلخص كل وجوده. فلا عجب ان ينصرف في هذا الوقت، على الرغم من حاجته بالنسبة اليه، الى طائره... وما ادري الطفل بخصوصية هذه اللحظات التي هو فيها... وفي النهاية ف(ناسوس) هو الذي ملأ عليه فراغ حياته، لا جده، ولا ابوه بل ولا حتى امه...

ولكن أيمن ان يكون حبه لطائر... طائر «كرر مع نفسه» موازياً لحبه لجده؟... بل ابعد عمقاً، وهو... هو بالذات، الذي كان بالنسبة له شيئاً... شيئاً هائلاً جداً... كما لو كان شكلاً آخر من اشكال الاستمرار في حياة باتت تطويها الايام والشهور والسنين في تعب، يعبر عن نفسه في جسم

يزداد انكماشه مع نفسه بمرور الايام والاسابيع...؟

\*\*\*

- كل ما ارجوه ان يمتد بي العمر... حتى اسعد بمرأى ابنكما .  
- وكل ما نرجوه نحن ايضاً ان يمتد بك حتى ترى حفيده ايضاً .  
ثم اضافت داليا ضاحكة:

- ولكن... قد يكون بنتاً .  
- لا يهم...

قالها بسرعة... ثم استمر:

- وان كنت، بصراحة، افضل ان يكون ولدأ... ولكن لايهم... لا يهم كثيراً.

وراح الاب الكبير في حلم قصير، كان خلاله يتحدث:

- سادعوه «ناسو»... اجل ناسو...

ولفظ الاسم ملء فيه... ثم اعتدل في جلسته وسألها وقد برزت سنتاه الاماميتان اثر ابتسامته المشرقة:

- أسمحان لي بهذا الاسم؟

وتوجه عقبه مباشرة نحو داليا:

- ها داليا؟

- بالتأكيد يا عمي... واذا... اذا كانت بنتاً...

- بنتاً؟...

وفكر هنيهة...

- ادعوها ناسوس... اجل ناسوس.

- «ناسوس»؟ باسم القبيح؟...

- اجل باسم «القبيح». ارجوكما... هل يمكن.

- لا عشنا اذا رفضنا لك رغبة...

- وانت يا فرهاد... ما رأيك...؟

- داليا... لا تتكلم عن نفسها فقط.

- بارك الله فيكما... لم يخب املي فيكما... أبداً... أبداً...

- ولن تخيب أبداً... تأكد.

\*\*\*

ولكن هل صحيح ان «ناسو» يحب طائرته اكثر من جدّه؟ هل يدري الآن ما يجري لجده...؟...

حتى الآن لم تتأكد... بل لم تخبره اساساً. تجتر آلامك وحدك وتفترض من المقابل ان يدرك ما يجري في دخيلة نفسك وان يتجاوب معك بالشكل الذي تفرضه عليه... حتى ولو كان طفلاً في الخامسة.

- بابا... ماذا اردت ان تقول لي...؟

وتساءل... حقاً ماذا اردت ان أقول؟...

لا... لا انا ادري ماذا اريد ان أقول... ولكن لا ادري كيف أقوله لك... كيف اجعلك تفهم ما سوف أقوله.

في العام الماضي، حين مات بلبله الصغير ظل ثلاثة ايام ترين عليه الكآبة والحزن...

ويدا له ان تذكيره بموت بلبله ذاك... وما اورثه غيابيه من الام أحسها ناسو، قبل غيره... واعمق من غيره، قد يكون مدخلاً مقبولاً للوصول به الى ما يريد...

- ناسو... اتذكر بلبلك الصغير؟

وصفن الطفل هنيهة:

- اي بلبل؟

- البلبيل الصغير الذي جلبه لك العم جواد... جواد السائق؟

- آه... الذي مات؟... ها؟

- اجل... اجل... الـ...

- اوه... القبيح أحسن... القبيح... لا يموت... ها... بابا...

وهم ان يسأله اتعرف ماذا يعني مات...

ولكن الطفل كان اسرع منه:

- بابا القبيح احسن... من البلبيل، اليس كذلك؟

ووجد الأب نفسه بدلاً من ان يسأله يجيب على سؤاله:

- بلى... بابا... بلى... القبيح احسن...

انى لهذا الطفل ان يدرك ما يعنيه الموت... انى له ان يعرف ما يعني ذلك الغياب الأيدي اللا انساني لجزء من القلب... وذلك الحضور الدائم لحزن اسود يهد الجبل يقبض الروح... يتلف الاعصاب.

وخيل للطفل... ان اباه... ما دام حزينا الى هذا الحد من اجل بلبله الذي مات، منذ زمن طويل... فلا بد ان يحزن أيضاً من اجل «قبيجه» الجميل، العذب الغناء... ويبادر الى عمل شئ من اجله... خاصة... وهو نفسه يعتبره احسن من البلبيل.

فقال بحرقه حقيقية:

- بابا... «تاسوس» أيضاً يموت إذا لم نعطه شيئاً... يأكل.

ابتسم الاب، على الرغم منه، بمرارة، وتألقت في قلبه الحب مجدداً لهذا الكائن الصغير الذي بات كل عالمه متقلصاً في طائر بديع يمنحه الفرح والروح.

أنهما متشابهان... متشابهان الى حد بعيد... هو الآخر طائر غرد في حياتنا الصامتة.

قال بهدوء:

- اعطه شيئاً يأكل...

فسأل الطفل بسرعة:

- ماذا اعطيه يا بابا؟ لقد فرغ كيس «الحنطة».

وخرج الأب فجأة عن هدوئه، فقال بخشونة استغرب هو نفسه منها كثيراً:

- اي شئ... اي شئ... فقط اتركني الآن... يا تاسو اتركني... حسب.

واستدار نحو جهاز التلفزيون بغيظ... وهو يتساءل بصمت:

«اما آن لهذه الجثة السوداء ان تنطق ثانية؟»

وازاء صرامة ابيه وحدة لهجته وأنصرافه على هذا النحو القاسي عنه... لم يملك الطفل الا ان يتركه...

«ماذا دهاه...؟ قبل قليل... لم يكن هكذا!».

لم يبتعد عنه سوى بضع خطوات حتى توقف بانكسار، وراح يختلس اليه نظرات كسيرة... «ماذا به بالله؟ لماذا هو اليوم هكذا»

وإذ رأى أباه يرمقه، بدا له انه قد لمح في عينيه بريقاً خاصاً ذلك البريق الذي اعتاد أن يراه يشع في عينيه، كل مرة، بعد هنيهة قصيرة من ثورته عليه... ثم يعقبه احتضان وقبل... وتحقيق مآربه التي كانت البداية السبب في ثورته وهيجانه.

ولم يكذب يلمح ظلال ابتسامة موهة على شفثيه المتيبستين حتى هرع نحوه... ثانية:

- بابا... ما عندنا شئ...

- ابدأ؟...

تساءل الأب، بنبرة، بدت كما لو انها صادرة عن انسان آخر.

شحت الطفل باطمئنان كبير.

- اي والله بابا... ابدأ... الكيس فارغ.

ودون ان يدع له فرصة أخرى يتصاعد فيها غضبه... طوقه بذراعيه الصغيرتين. وقال:

- انت لم تتسوق بعد...

- ها؟

- هل تتسوق الآن؟

لم يكن الذهاب إلى السوق يعني اليه فقط الرجوع بأكل له (تاسوس)، وإنما هو مرتبط عنده أيضاً باصطحابه اياه معه... ونوبة كرم غريبة تنتاب الأب... فما يكاد يراه يرمق حاجة ما، حتى يبادر إلى شرائها له، وقبل ان يفصح عن رغبته فيها... ثم يعودان معاً في عربة و.....

- فيما بعد... يا ولدي... فيما بعد.

وقمادى الطفل في الاستفادة من الرقة التي بدا له فيها الاب:

- لماذا ليس الان يا بابا؟

تساءل الاب:

- هل انت جوعان؟

ثم سرعان ما ادرك تفاهة سؤاله الذي لم يقصد به شيئاً عدا الاستمرار معه في الحديث.

أجاب الطفل:

- لا... بابا... تاسوس جوعان.

- تاسوس؟

ويدا كما لو كان الاب قد نسي الامر كله.

- اي بابا... حتى انه اخذ يعض اصبعي من الجوع...

- يعض؟

- اي والله... يريد ان يأكله.

- ابني... الطيور لاتعض وإنما تنقر.

- اي... ينقر...

قالها الطفل مؤمناً على قول ابيه.

- اسمع تاسو... افتح الشلاجة، قد تجد فيها شيئاً يصلح له... خيار كرفس... طماطة.

قال ذلك وهو يدري ان لا شيء مما ذكره يصلح طعاماً للقيج ولكنه أراد ان يلهي الطفل لحين... يعثر له على بعض الحبوب...

وإذا اطمأن تاسو الى المدى الذي بلغه في الاستحواذ على اهتمام وحب ابيه مجدداً... اعلن عن مخالفته اياه... فيما يتعلق بالطماطة...

- لا... بابا لا... الطماطة لا... لا.

وهز رأسه باستهانة... بينما تساءل الاب بجدية!

- لماذا لا...؟

وبرح اجاب الطفل:

- الطماطة تخرس أصوات الطيور، ولا تدعها تغني ابدأ.

واستأثرت ملاحظة الطفل باهتمام حقيقي من الاب:

- وكيف عرفت؟

أجاب الطفل بنبرة لم تخل من التباهي بهذه المعرفة التي يفتقر اليها ابوه:

- انا اعرف:

ولكن ازاء نظرات من الاب، تنطوي على قدر غير قليل من الاعجاب، فسرها الطفل على نحو مغاير تماماً... اجاب بصوت منتكس:

- حسينا... حسناً والآن اذهب وفتش له عن شيء... اي شيء طمأطة...  
تمر... خيار كلها جيد... كلها جيد...  
ولكن ناسو... لم يتحرك...  
- اذهب... يا ناسو... اذهب اليه... قبل ان تخطفه القطة  
- القطة؟... آ... صحيح... نسيت واللّه... نسيت.  
وقفز الطفل خارجاً.  
كانت تلك كذبة اخرى وجد نفسه مضطراً اليها... فهو يعرف ان القطة  
لا تجرؤ على الاقتراب من القبيح ولكنه كان يريد ان يخلو الى نفسه... فلم  
ير بأساً في اللجوء اليها.  
اشعل سيجارة اخرى... وراح يمتص منها انفاساً عميقة وهو يرقب بقلق  
متزايد التلفون ويرخي السمع الى الخارج، بمزيد من الاهتمام.

- حسين... يقول...!!  
- حسين؟  
- اجل... هو يعرف كل شيء.  
- ما يقوله حسين يصدق على البلبل... لا على القبيح...  
- لا... بابا... على كل الطيور... كل الطيور... هو يقول...  
ووجد الاب نفسه امام ثقة ابنه الكبيرة بابن جارهم ذي السنوات  
العشر، صعوبة بالغة في مخالفته...  
ولما لم يكن لديه اي فكرة عن وجود شيء افضل من الطمأطة قال:  
- القليل منها... لا يضرب... اطعمه قطعة صغيرة فقط.  
هز الطفل رأسه رافضاً:  
- لا... بابا... لا...  
ثم اضاف خشية ان يستاء منه ابوه.  
- التمر جيد... يا بابا... التمر احسن شيء.  
قال الاب ورغبته في الاستمرار في هذا النمط من الحديث. أخذة.  
بالتلاشي...  
- صحيح... صحيح...  
واستمر الطفل في حماس:  
- التمر يجعله... يغني باستمرار...  
كان واضحاً ان الطفل ينقل كل ما تعلمه من خبرة في تربية البلبل الى  
القبيح... بالرغم من الاختلاف البين في تربية كل من الطائرين...  
فقد تأكد ان ابنه من العناد بحيث لا يتنازل عن رأيه ابداً... وان الطائر  
قد استأثر بكل اهتمامه ويات معه على استعداد كامل ان يناقش  
ويحاوّر اباه حتى الصباح لذا رأى من الضروري ان يحسم الامر بشكل  
من الاشكال:

- اما تزال هنا؟

قالتها داليا، اول ما نزلت السلم، بدهشة، اذ وجدته قابعاً حيث تركته، يدخن بشراهة، ثم اضافت باستنكار مجيبة على نظراته المتسائلة التي رفعها اليها:

- حسبتك ذهبت لتأتي بالسيارة.

- خابرت الكراج... ووعدوا بارسالها الى البيت... وحتى الان لا سيارة ولا مخابرة منهم...

- والى متى ستظل تنتظرهم.؟ الساعة جاوزت التاسعة والنصف... لماذا لاتذهب بنفسك الى الكراج.

- ها؟...

- اليوم جمعة... ولو بقيت معتمداً عليهم... لاتنصف النهار ونحن ما نزال هنا.

- آ... صحيح... اليوم جمعة... نسيت... والله نسيت.

وتوجه مباشرة نحو الباب، بينما تساءلت داليا باستغراب شديد:

- اين...؟

اجاب هو ببساطة متناهية:

- الى الكراج.

واتسعت حدقتها استنكاراً:

- بالبجامة.؟

واضطرب اثر النظرة السريعة التي القاها على ملبسه. اجاب باضطراب:

- اوه... اللعنة... انساني الولد كل شئ.

تساءلت داليا بألم:

- الولد؟... أهو الولد حقاً؟

رمى عقب سيجارته وراح يصعد درجات السلم مسرعاً على الرغم من الهم الثقيل الذي يريخ تحته.

تناولت داليا عقب السيجارة من الارض والقته في سلة المهملات واخذت تبحث عن شئ ما في أرجاء الصالة، واذا لم تعثر عليه صعدت هي الاخرى تواصلت بحثها.

- تنورتي السوداء... لا ادري ماذا حلّ بها.

ومع أن السؤال لم يكن موجهاً اليه، اذ كان واضحاً أنه لا يعدو نوعاً من التفكير الصامت، اتخذ له مخارج اصوات، فقد احس بما يشبه القشعريرة تسري في بدنه، وبشئ ما خانق يقبض على روحه...

«سوداء...؟ لماذا سوداء...؟ هل قضى الامر؟»

وارتعب من الفكرة، التي بالرغم من انها كانت بالنسبة اليه.

وقبل هنيهة فقط، تكاد ترتفع الى مستوى يقين جازم، وانه هو الذي أوحى بها الى زوجته وراح يرسخها في ذهنها بتصرفاته اللاحقة، فانه بدأ يقا تل ضدها، بضراوة، وعزا الامر الى تطرف غبي في تصوراته، واندلاق غير مسؤول لعواطفه المثارة... واخذ يشحن نفسه بافكار اخرى.

مناقضة؟ صحيح. موهة؟ صحيح... غير واضحة ايضاً... صحيح... ولكنها غير سوداء... غير سوداء على الاقل.

اعاد القميص المقلّم، الذي امتدت اليه يده عرضاً من بين قمصانه، الى موضعه، ووجد نفسه دون اي تخطيط سابق، يبحث عن قميص اخر بلون مناسب، فاختر واحداً بلون اخضر داكن. واذا هم ان يرتديه، تساءلت زوجته:

- اتحسب هذا اللون مناسباً؟

- ها؟...

خيل اليه انها تستشيريه، ولكن حين التفت اليها ولم يجد شيئاً في يديها، ايقن انها تتحدث عن قميصه بالذات، تجاهل الامر... وتساءل بعصبية:

- اي لون؟

- قميصك هذا الذي تلبسه.

امتعض:

- لا ادري... لا املك افضل منه.

اقترحت:

- اشتر لك واحداً حين نصل بغداد.

تحول امتعاضه الى استياء واضح، كشف عن نفسه عبر نبرته الحادة التي اضطر ان يخاطبها بها:

- لا ارى... اية ضرورة لذلك.

وراح يزرر قميصه بانفعال... كما لو ان احداً يهم أن يخطفه منه. ويتمسك به هو في عناد صبياني.

لم تحفل هي بحركته ولا بانفعاله...

- بل ضروري...

اكدت، باصرار غريب.

همّ ان يقول لها «الرجل لم يميت بعد... انتظري حتى تتأكدني من موته على الاقل...» ولكن لم تواته الجرأة... وندم على تفكيره تجاهها على ذلك النحو. اذ ادرك كم سيكون ذلك قاسياً ولا انسانياً... بل ومجانباً لحقيقة ما يعتمل في نفسها، هي الاخرى من مشاعر واحاسيس... وآلام...

تجاه الرجل الذي اعتبره كلاهما... أكثر من أب... واحالاه في نفسيهما الى صديق، صديق حقيقي، ومعلم... وموجه... و...

«هي الاخرى يمزقها الألم» قال ذلك باقتناع تام «على النحو الذي يمزقني... ولكنها لا تكتفي بسكاكين الالم التي تقطعها من الداخل وانما تعمل على التعبير عما تعاني يشتمى الصور، واللون الاسود الذي تحرص عليه، ليس اكثر من واحدة من صور الالم القاتل الذي ينخر فيها».

اكتفى بهزة من رأسه، أعتبرتها داليا علامة عن عدم اقتناعه:

- يكفيننا ما مضغتنا الافواه... لقد تهرأت لحومنا ولم نعد قادرين على تحمل المزيد.

ذلك دأبها دائماً، تتصور ان ثمة اتهاماً مسبقاً موجهاً اليهما كليهما أو بالاحرى اليها بالذات، وبشكل خاص جداً، ربما بسبب الظروف التي رافقت زواجهما... حيث نشأ عنها اعتقاد، في أربيل، في العوائل ذات المواقف الخاصة ازاءهم على الاقل، بانها قد خطفت رجلاً وتزوجته، على الرغم من كل افراد أسرته وأسرته ايضاً، وانها لم تعد يهمها شئ في كل العائلة عدا الشاب الذي سرقته.

وبالرغم من كذب هذا الاعتقاد وبطلانه. فان داليا قد استسلمت له، وعملت انطلاقاً منه، على ان تثبت العكس تماماً. عبر صنوف من المبالغة في التصرف، والحرص الزائد على المظاهر، والاستجابة المفرطة للعواطف الانية...

«دلشاد.»

«دلشاد يتحمل مسؤولية كل ذلك... هو الذي نفث هذه القذارة، لسبب ما يزال فرهاد يجهله...»

وداليا... تتحمل المسؤولية ايضاً، كان عليها ان تتجاوز هذه التفاهات، لا سيما وهي قد تجاوزت الكثير، للوصول الى ذلك المرفأ

الانسانى العظيم، الذى تلتقى عنده المشاعر النظيفة... الصادقة... البعيدة عن كل الوان الانانية ولكنها لم تفعل... لم تستطع ان تفعل، ما تزال مستسلمة لتلك الاكذوبة... ان ذلك يحز في قلبي...»  
احس، عندها، فرهاد باللا جدوى في المعارضة، تحت أي شكل كانت، بل وحتى في الاستمرار في الحوار بهذا الصدد. فقال باستسلام:

- حسناً... حسناً.

كان يريد اسكاتها حسب، ولكنها لم تسكت، اذ انها اندمجت بشكل ما في الصورة التي صنعتها لنفسها ولزوجها ايضاً:

- ربما تحتاج الى ربطة عنق... سوداء...

سوداء؟... هي الاخرى؟

و... وربطة عنق ذلك الشئ الغريب المتدلى من الرقبه اشبهه ببقايا حبل من حبال المشنقة... الذي انقطع بعد ان لفظ المحكوم عليه بالموت شنقاً، انفاسه.

واستغرب ان تكون هذه المرأة قادرة على التفكير في امور تافهة كهذه، الى حد الاغراق فيها، حتى في اشد اللحظات مأساوية. فردد بآلية:

- ربما... ربما...

قالها... اذ تبادر الى ذهنه. انها ليست تافهة بالنسبة اليها، بالتأكيد... والا لما تعلق بها الى هذا الحد.

ولكنه ثار على نفسه، فجأة، لاستسلامه لها على هذا النحو، وفي امور سخيفة كالتى تقوده اليها، وثار عليها ايضاً لتعلقها بها الى هذا الحد اللامعقول.

قال بحدة:

- لماذا هذا الاحاح اللامعقول على المظاهر، الصدق الحقيقى هنا هنا... وراح يدق على قلبه، بعنف.

ثم أن الرجل لم يمت بعد.

لم يقلها رداً عليها... بقدر ما قالها حرباً على احساس داخلى يصارعه بقوة.

هي... لم تغضب، لم تثر، ارتكنت الى سكوت غريب، كان الاحساس الذى يحاربه فرهاد، قد انتصر عليها، فقالت بعمق:

- لا ادري لماذا يا فرهاد... يخيل اليّ ان دلشاد لم يقل لنا الحقيقة.

بدا لفرهاد ان احساسه الذى يعمل على قتله، هو الذى يتكلم عبر كلماتها... فاخذ يتلوى، بينما استمرت هي، دون ان تدري، انها تنفخ الحياة في الوحش الذى يصارعه زوجها في داخله:

- وقد ادركت ذلك بنفسك قبلى...

تجسدت امامه مخاوفه كلها دفعة واحدة، كائناً خرافياً لا رأس له ولا أطراف ولا عيون... ولا اي شئ... سوى هواء من الرعب والاختناق، فثار عليه... على نفسه:

- لماذا هذا التعلق بكل ما اقوله... انى احياناً كثيرة اقول اشياء لا اعنيها...

آه... لو كان بوسع المرء ان يسترد ما يقوله في لحظة انفعال بعدما تهدأ نفسه...

ولكن مستحيل... مستحيل... فما تكاد الكلمة تخرج من الشفتين حتى تنمرد عليك وتخلق لها... كيائها الخاص، وتنشئ لنفسها العلاقة التي ترتأىها مع الاخرين... او يرتأىها معها الاخرون... وانت... انت خالقها... لا تعود بالنسبة لها... اكثر من صفر... صفر... تخرج لك. لسانها استهزاء... كلما احتددت عليها...

- ما قلتها لم يكن من الاشياء التي لا تعنيها... لقد قلتها بصدق...  
خاص...

آه... لماذا تمزقيني... الا تدرين ما تفعله في كلماتك. واستمرت تسمعه  
صدي افكاره... ومشاعره الخرساء:

- لو لم يكن الامر كذلك، لخبرنا امس... أو أول أمس...

وكغريق يجاهد أن يفلت من امواج شيطانية باتت تحاصره من كل  
جانب، اندفع خارجاً...

- سأتي بالسيارة...

وبينما هو يطوي درجات السلم كان ناسو يصعد، فتوقف اذ التقى به:

- بابا... الثلاجة فارغة...

ووجد فرهاد نفسه يزعم بوجهه:

- اوه... ناسو... كفاك... كفاك...

- ولكن القبح... يا بابا... القبح...

ولم يدعه يكمل، قاطعه بحدة، ودفعه الى فوق:

- اذهب الى امك... هيا... هيا.

٦

لم يصعد ناسو إلى أمه، كما اراد منه ابوه، إذ خشى ان تكون الحالة  
الغريبة التي وجد فيها أباه، قد انتابت أمه ايضاً. فاكتمت بالصياح  
عليها من اسفل السلم، بعد أن اقتعد الدكة الاولى منه:

- ماما... ناسو جوعان.

ولكن الام لم تجب، مما حمله أن يصعد درجاً آخر، ويصرخ بصوت  
أعلى:

- ماما... ماما...

وجاءه صوتها مستفسراً:

- ماذا تريد يا ناسو...؟

اجاب وهو ما يزال قابلاً في مكانه:

- الثلاجة فارغة...

- ها؟. لا اسمع...

- الثلاجة... الثلاجة فارغة.

- الثلاجة؟ ماذا بها الثلاجة... لا أسمعك... صوت المروحة لا يدعني

اسمعك جيداً... تعال هنا... تعال.

وحين هبّ واقفياً وهمّ أن يصعد، تذكر أنه قد ترك... ناسو، في  
الحديقة. فأسرع الى ادخاله الى المجاز، غالقاً باب الحديقة، ثم اخذ  
يصعد درجات السلم بخفة ومرح، ولكنه ما كاد يرى أمه تعدد الحقائق  
حتى نسي ناسو وجوعه:

- ماما... نسا فر؟

وأومات داليا برأسها بالايجاب:

- أين؟ ماما... الى اين نساافر؟.

وقبل أن تجيب امه، اعلن عن رغبته بلهفة، عبر سؤاله:

- الى بغداد... ماما... الى بغداد؟

لم يكن سؤالاً... وانما كان دعوة وطلباً، اجابت امه باقتضاب ووجوم:

- لا... الى اربيل.

احس الطفل بخيبة:

- اربيل؟

وردد مع نفسه، اربيل؟... اربيل كما لو كان يسمع بهذا الاسم لأول مرة... ترى اهو مكان آخر... مثل بغداد، يفيض بالناس والسيارات والمخازن... و... و...

ونقل شكوكه الى امه:

- اربيل... يعني بغداد... ماما...

- لا... ابني لا... اربيل مكان آخر...

- افهم... افهم، يعني مثل بغداد... ها؟... على شكل بغداد...

واحست المرأة بضيق، جراء حصاره اياها:

- ابني اربيل... اربيل... وبغداد بغداد...

وواصل هو أسئلته:

- يعني... قريب من بغداد ها؟

قالت بضجر:

- ماذا دهاك يا ناسو... كأنك لم تر اربيل طيلة حياتك...

- هل... هل رأيتها... سابقاً يا ماما...؟

- او ووه...

وانصرفت الى خزانة الملابس تبحث فيها عن علبة «الكلينكس» بينما

ظل ناسو... يلاحقها بأسئلته التي لا تنقطع:

- ماما... بيت من؟ بيت من في اربيل؟

اجابت سارحة الذهن:

- بيت جدو؟

- جدو؟...

وتساءل:

- قريب؟. لو بعيد...؟ ماما...

- بعيد ابني... بعيد.

واذ بدا لها انه قد استعذب الحديث معها وانه في سبيله ان يستمر في اسئلته، صرخت به، قبل ان يفتح فاه:

- اوه... ناسو... انزل الى الحديقة... اتركني... اتركني...

سحبت بانفعال ورقة وردية من العلبة الكارتونية. وراحت تمسح بها عينيه... ثم مخطت فيها بقوة والقتها على الارض...

بتردد كبير، اخذ ناسو يقترب منها... وبصوت لا يكاد يسمع سألها:

- ماما اتبكين؟...

اسرعت داليا تنفي حالة الضعف التي انتابتها امام ابنها، بالرغم من حرصها الشديد على تجنب ذلك امامه:

- لا... ماما... لا... ارفع يدك عن المروحة...

وسحب الطفل بسرعة كفه التي بسط اناملها فوق الشبكة المعدنية التي تحيط بالمروحة... وقال كما لو كان يحدث لنفسه:

- بابا ايضاً كان يبكي...

لم تجب داليا.

- هو ايضاً قال لا ابكي...

واذ لم تسكتة امه تمادى:

- مع اني رأيت دموعه في عينيه...

ثم وجه السؤال مباشرة:

- لماذا تبكيان يا ماما...؟

وكادت الام تنفجر:

- اوه... تأسؤ... ما هذا الاحاح؟. قلت لك اني لا ابكي.

لا ابكي...

خشى ان يقول، الدموع في عينيك... اني اراها... كما رأيت دموع ابي واكتفى ان قال بخجل:

- هل تعاركتما؟

اندهشت داليا من سؤاله... فقالت باستنكار شديد:

- تعاركتما؟... ما هذا الكلام يا تأسؤ...؟

فتراجع تأسؤ بضع خطوات... وقبل ان يتكلم صرخت به...

- قلت لك ابعده يدك عن المروحة

وهو يجرها قال:

- اقصد... اقصد هل ضربك بابا...؟

- ما الذي تقول يا ابني... ولماذا يضربني؟ من أين تعلمت هذه

الكلمات...؟...

- حسين... يقول... ابوه وامه يتعاركان دائماً، وهو دائماً يضربها وتبكي... كل يوم.

- نحن لسنا مثلهما... نحن لا نتعارك ابداً... ابداً...

ولكن الطفل يبحث عن سبب لهذه الدموع... التي تغرقان فيها...

يبحث عما يهدئ نفسه في هذا الوضع الغريب الذي يراكما فيه.

تصلب ذهن الطفل عند نقطة لا يغادرها الى سواها:

- هل... هل... حدث شيء... يا ما ما؟

- لا قلت لك الف مرة... لا...

وهمت ان تصفع الطفل، واذا انكمش فجأة على نفسه اثر صرختها، جمدت يدها قبل ان ترتفع، ولعنت الشيطان في سرها... حاسية بندم هائل... فأكتفت ان قالت له بنبرة حاولت ان لا تجعلها تكشف عن انفعالها:

- انزل ابني... انزل.

واختفت كومة اسئلة في ذهن الطفل ولم يستطع اي منها. ان يبلغ شفتيه مرة اخرى، الا انه بالرغم من طلب امه جمده في مكانه ولم يتحرك.

- الا تسمعني... أنزل العب في الحديقة.

وبأنكسار شديد، اخذ الطفل يبتعد عن أمه، ولكنه لم يكذب يسير سوى بضع خطوات حتى توقف... كانت الام ترقبه... وتصارع افكارا شتى في داخلها، ما ذنب الطفل حتى اقسو عليه الى هذا الحد.

- ماذا يا تأسؤ... ماذا ثانية؟

اجاب الطفل دون ان يرفع عينيه:

- تأسؤ... يا ماما... تأسؤ... ما عنده أكل...

وفتحت الام فاهها دهشة:

- تأسؤ؟

أجل... تأسؤ... تأسؤ... ودد لو يملك الشجاعة الكافية كي يصرخ بوجهها باعلى صوته... اجل تأسؤ... تأسؤ... اتسمعني تأسؤ... تأسؤ... الذي يكرهه كلاكما... لماذا؟ لماذا لا تحبان الطائر المسكين... هل

اساء اليكما... هل... واذ هم الطفل ان يتكلم صاحبت به:

- اترك الماكنة من يدك.

كان ناسو... قد التقط آلة الخلاقة، واذا سمع صرخة امه رضح لامرها واعادها الى موضعها فوراً.

- انزل... ابني... انزل.

ودهش الطفل:

- وناسوس ماما... ناسوس يموت من الجوع...

همت ان تقول: موة جدي... ولكنها اذا تأملت وجهه الشاحب تأملت له؛ وقالت:

- اعطه... شيئاً... لا تلعب بالراديو... ابني.

كان الطفل هذه المرة مد يده الى الراديو، يدير ازراره.

- الثلاجة ما بها شئ... وكيس الحنطة فارغ.

- في الرف الاعلى... يوجد خيار.

- الرف عال... تعالي انت.

- ابني انا مشغولة... الا ترى ما انا فيه...؟

ثم اضافت اذ وجدته ما يزال واقفاً في مكانه:

- ففتش في المطبخ... قد تجد شيئاً في الدولاب... ناسو... الا تترك الماكنة... من يدك...

وانتبه الطفل الى انه قد عاد الى آلة الخلاقة الكهربائية... وانه يكاد يضغط على الزر الاحمر الذي فيها. فتركها وعاد مدحوراً... مطأطئ الرأس، بينما اخذت داليا، تدمدم:

- ناسوس جوعان!! عساه يأكل السم!!

٧

حين اخذت وطأة حرارة الشمس تزداد على قفاه، ويستجيب لها جسمه المكدود بمزيد من العرق يتصبب من كل مسامات جلده الذي تلاشت المسافة بينه وبين قميصه الداكن، انسحب فرهاد الى الخلف قليلاً، الى ظل الحائط الهرم الذي يسور سجن الحلة المركزيه حيث وقف بانتظار «عربة» من العربات التي تجرها الخيول، والتي اعتادت ان تقف في الفسحة الكائنة امام السجن، ولكن انتظاره طال... او بدا له انه قد طال اكثر مما ينبغي، تساءل بصبر يأكل رصيده «ما الذي يجري اليوم، لا اكاد ارى عربة فارغة واحدة»

القي عقب سيجارته التي احرقته نارها اصبعيه، وهو يرقب عربات عديدة تجرها خيول هزيلة، تعبى، ممتلئة الى حد الفيضان بناس ذوي سحنات مختلفة، واعمار متباينة؛ شيوخ مسنون، وكهول... ورجال في اكتمال الرجولة، ونساء مسنات وشابات و... وما تكاد عربة من تلك العربات المحملة بهم تفرغ منهم، حتى تمتلئ مجدداً بناس اخرين... نماذج اخرى من الاصناف البشرية، سيل من الناس يندفعون نحوها، حاملين سلالهم وحقائبهم وحاجات اخرى عديدة، يهجمون على العربات، يعتلونها من كل فتحة من فتحاتها التي تكون في متناول ايديهم، او بالحري في متناول ارجلهم، بعشوائية وفوضى، غير مباليين اطلاقاً الى، صرخات الحوذي واحتجاجاته.

هز رأسه!! هيه... هيه...

مد يده الى جيبيه، أخرج علبة سجارته ثانية، اخذ منها سيجارة، لقد فرغت العلبة، الا من سيجارة واحدة.

بحث بعينيه هنيهة، وقع نظره على بائع سيجائر مقرفص في شريط الفئ الذي كان سور السجن قد اسقطه على الرصيف وقد رتب فوق

سفرته التي فرشها فوق الارض، بضع علب سجائر وكبريت، الى جانب مجموعة كبيرة من العلك والحلويات والكرز والى يمينه قدر اسود، يحتوي حبات من الباقلاء المسلوقة تسبح في ماء قهوائي.

قال وهو يتناول منه علبة السجائر، بعد ان نقده الثمن:

- ما القصة؟... ولا عربة فارغة هذا اليوم.

- اليوم هو الأول من الشهر، وهو موعد مواجهة السجناء.

ثم سأله بعد ان تأكد انه ليس مع الذين يزدحمون للمواجهة:

- استاذ انت غريب؟...

- اجل... اجل...

وفكر " لا امل اذن... لا امل.

وتحرك مغادراً وقفته، بينما تبعه صوت البائع:

- لقد ادركت ذلك، انت ولا صغراً بك، لا تبدو من اهل الحلة...

سحنتك تختلف عنا ولهجتك...

ولم يسمع ماذا قال عن لهجته اذ كان قد ابتعد.

كانت الساحة مزدحمة بالباعة الصغار، ينادون على مختلف البضائع وزوار السجن الذين يفصلهم هذا الجدار الهرم، عن اجزاء عزيزة منهم، مزروعة أو مدفونة... في هذه المقبرة الغريبة التي تطبق على ناس احياء، يتحلقون حول الباعة يساومون، يجادلون يحاورون. ولكن يشترتون

بسخاء، فتمتلئ السلال الفارغة، بالفواكه المختلفة؛ عنب... قمر. خيار... طماطة، وتنوء النساء تحت حمل السلال... وينوء الرجال تحت ثقل الرقي

والبطيخ... و... و...

كل ذلك يجري في صخب وضوضاء، اشبه بواحد من ايام العيد...

العيد؟ يا له من عيد...!!

قالها نادماً على فلتة لسانه تلك؛ اي عيد هذا؟ انه واحد من أيام

المأساة التي تكرر نفسها، تحت شكل جديد، في بداية كل شهر...

ولكنه عيد... ايضاً عيد بالنسبة للسجنا... وحتى اهلهم، كم كبيرة هي فرحة اللقاء... بالله... كم تسفح فيها المشاعر... والعواطف... عبر القبل والاحتضان... والدموع... ايضاً...

كان الناس يندفعون، بأحمالهم وأثقالهم، عبر بوابة السجن الكبيرة التي شقت من منتصف احدى ضلفتيها، فتحة لا تتسع لدخول اكثر من شخص واحد، تحرسها ثلة من افراد الشرطة مدججين بالسلاح مجلدين بالعرق، تتسم تصرفاتهم بالقسوة والغلظة، يدفعون الزائرين بشراسة، لا يفرقون اثناء دفعهم بين شيخ تجاوز السبعين، وبين امرأة تحمل حياتين فوق عودها اليايس. وكثيراً ما يلجأون الى هراواتهم المتدلية من منتصفهم... وغالباً ما لا يقتصر استخدامها على مجرد التلويح بها.

اذ قد تصيب رأساً معقلاً، او تطرح عباءة، رجالية أو نسائية، على الارض. او ترض عظاماً... والشرطي يزعق فيهم:

- واحد واحد... واحد واحد... قلنا واحد واحد...

واذ يدخل الواحد، او الواحدة، يتعرض في الداخل، عقب الدخول مباشرة، الى عملية تفتيش دقيقة جداً... يفلون حتى الملابس الداخلية احياناً... خوفاً من وريقة صغيرة بحجم الحمص تحمل بضع كلمات مضیئة... ويتساوى مرة اخرى الصغار والكبار... والرجال والنساء...

\*\*\*

هو ايضاً قد تعرض ذات مرة، لتفتيش دقيق من النوع نفسه، بالرغم من انه لم يكن آنذاك قد تجاوز السابعة من العمر. وحين احتج العم الياس، الذي جاء فرهاد بصحبته، على ما يجري لهذا الطفل... قال شرطي يتدلى من تحت انفه مباشرة شاربان كشان.

- طفل...؟

وضحك باستهتار...

- ما يفرق... الكل يفتش... الكل... هذا امر.

وواصل عملية تفتيشه بقسوة، يديره في شتى الاتجاهات كما لو كان دموية، لا كيانياً آدمياً من لحم ودم...

ثم قال بتباه، بالرغم من عدم عثوره على اي شئ:

- نحن لا يخفى علينا شئ، لقد خبرنا كل حيلكم والاعيبكم، تحملون الاطفال كل ما تخافون عن حمله بانفسكم... انظر الى ذاك... جيوبه ممتلئة بالمناشير السرية... ونظر فرهاد حيث اشار... كان ثمة طفل يكبره بضع سنوات، طويلاً، نحيلاً، يلبس دشداشة مقلمة يحاور الشرطي الذي يصفعه على صفحتي وجهه بقسوة، بعناد غريب...

- وحدي جئت... وليس مع احد...

- وهذه الاوراق من اعطاك...

- كانت في يدك انت... انا لم يكن معي شئ...

ابتسم العم الياس وقتتم وهو ينظر اليه باعجاب:

- بارك الله فيك... لتحرسك العذراء... انظر فرهاد... انظر، هكذا يخلق الشعب العراقي رجاله... منذ الصغر... من المهذب... أه ما اروع ذلك...

قبل ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً اقتحمت شرطة «الشعبية الخاصة» منزلهم في اربيل، اثر تظاهرة... شعبية عارمة، اجتاحت المدينة كلها، من اقصاها الى اقصاها، اسناداً لفلاحي منطقة «راوندوز» الذين ثاروا ضد مصاصي دماءهم... ضد الاقطاعيين... اقتادوا اياه... أخوه دلشاد الذي يكبره بثلاث سنوات، ارتعب... التصق بأمه... وراح في عويل وبكاء، بينما وقف فرهاد يرقب ما يجري امامه مبهوتاً... بصمت فائر.

ربت أبوه على رأسه:

- دلشاد كن رجلاً... كن مثل اخيك... لا تبك...

واذ ظل دلشاد يبكي صرخ به. وهم ان يصفعه:

- لا تبك... لا تبك...

\*\*\*

- تاكسي... تاكسي...

قالها بسرعة، اذ مرقت بجانبه سيارة فارهة، مشيراً بكلتا يديه... توقفت السيارة، مد رأسه داخلها، كان ثمة شاب انيق خلف المقود، انسحب معتذراً:

- آسف... آسف... جداً. حسبتها سيارة اجرة...

اجاب، بلا امتعاض:

- لا بأس... ايها الاخ... لا بأس.

يا الهي ما العمل...؟

اشعل سيجارة جديدة، وواصل نظراته، هنا وهناك، بأمل اقتناص سيارة اجرة... بعد ان يئس كلياً من الحصول على عربة فارغة

\*\*\*

بعد حوالي الاسبوع، كانت امه والعم ألياس، صديق ابيه الحميم، وأخوه دلشاد، يستعدون للسفر الى الحلة... لزيارة ابيه في السجن.

تعلق فرهاد بالعم «ألياس»

- عمو خذني معك... أريد أرى أبي.

الا ان العم ألياس خيب رجاءه

- وداليا من يظل معها... اتركها وحدها؟

- نأخذها معنا، هي الاخرى.

وتحمست داليا اكثر من فرهاد :

- اجل بابا... اجل... اريد ان ارى عمو...

وإذا بدأ على العم ألياس انه على وشك ان يلين امام رغبة الطفلين،  
تصدى لهما دلشاد :

- ما هذا؟... هل نحن ذاهبون للعيد...

ثار عليه فرهاد...

- ولماذا تذهب انت...؟

تدخلت الام:

- اننا نأخذ دلشاد معنا، كي يحمل لنا السلة... وفي المرة القادمة  
نأخذك انت...

- وأنا...؟

- انت ايضاً... يا حلوة.

- عسى ان لا تكون ثمة مرة قادمة... وعسى الله ان لا يريكما... يا  
ولدي الحبيبين.

قال العم الياس ذلك وهو يقبلهما، مودعاً، وهما يرنوان خلفهم بعيون  
مبللة...

ظلا لفترة، جامدين، يرين عليهما صمت متوتر، قبل ان ينصرفا الى  
العابهما...

\*\*\*

ولكن الله... أو الشيطان... أو قوة أخرى، لا يدري، قد اراه السجن.  
اراه، هذه البناية الرهيبة المترامية الاطراف بالذات. بباحتها الكبيرة  
المتربة، وغرفها العديدة المتداخلة المتسخة... فرأى كيف تذبل أبدان  
الرجال... كيف ينهشهم المرض، والوحدة والالم... ولكن عرف ايضاً،

بالرغم من كل ذلك، كيف ينبع في قلوبهم ربيع دائم الاخضرار... ورأى  
ايضاً كيف تتداخل الرجال في بعضها البعض دون ان يعرف احدهم  
الاخر... فيستقاسمون الخبز والمكان والمنام وقطعة الصابون، وموسى  
الحلاقة، ومعجون الاسنان والذكريات... والتاريخ... رأى كيف تخدم  
البراكين. وتهدأ الامواج، يرين عليها الوجوم... ولكن تظل تغلي من  
الداخل... يرين عليهم البؤس وتظل الشفاه تبتسم.

تفصلهم عن الناس جدران ومسافات وايام وشهور وتظل قلوبهم عامرة  
بحبهم. ويتجاوز التصميم، على الفناء في سبيلهم... نفسه، باستمرار،  
ويتعملق فيهم... حب الحياة... بشكل لا يقهر... انهم ملح الارض... ملح  
الارض...

حين عادوا من الحلة كانت ثمة مرارة في حلق العم «الياس» وامه...  
فجرها العم:

- لم ادر ان الرجل يحب فرهاد الى هذا الحد...

قالت امه باستسلام:

- المرة القادمة لا بد ان نأخذه معنا.

- بالتأكيد وإلا طردنا من الباب.

\*\*\*

- تاكسي... تاكسي...

ودون ان ينتظر كلمة من السائق، قذف بنفسه داخل السيارة اول ما  
وقفت. ثم قال باطمئنان إذ لم يطرده السائق:

- كراج بغداد... رجاء.

قدم له السائق، الذي كان لحظتذاك يشعل سيجارته، سيجارة...

وهو يقول...

- اخونا تبدو مستعجلاً...

- جداً... جداً...

اخذ منه السيجارة... بامتنان:

- شكراً... اخي... شكراً جزيلاً...

\*\*\*

قال العم ألياس لامه.

- اسمعي... أم دلشاد... هذه المرة آخذ معي فرهاد

تساءلت امه بقلق:

- وأنا؟

بينما تساءل هو بفرح:

- وداليا...؟... داليا ايضاً عمو...

أهمله العم ألياس، ووجه حديثه الى امه:

- المسافة طويلة... والبرد هذا الشتاء، يفتس الخنزير...

- ما الذي تقول يا ابو عزيز... لا طول المسافة ولا برد الشتاء، ولا اي

شئ يمكن أن يمنعني عن...

وإذ اعيت الحيل بيد العم ألياس، اعترف بحقيقة السبب:

- ماذا بيدي أنا... يا ام دلشاد... هكذا اراد هو...

- هو؟

- قال لماذا تعذب المرأة... أجلب معك فرهاد فقط.

- ولكن...

- انه محق يا ام دلشاد... فلا تعاندي...

حين أبصر أباه، بعد أن أجتاز مراسيم التفتيش ركض الى ذراعيه،

كعصفور اهتدى الى عشه بعد طول ضياع...

- فرهاد... حبيبي...

ولم تكذ ذراعاً الرجل تحيطان به... حتى اخذ هو يختض بينهما،  
ويلتصق بصدرة، فابعدتاه... ثانية:

- ما هذا يا فرهاد...؟. الا تستحي...؟. انا الذي كنت... احسبك رجلاً...  
كيف تبكي

- فرهاد... اتبكي حقاً؟. ماذا جرى لك؟

قالها العم الياس بتأنيب، واطاف:

- رأيت الصبي الصغير كيف واجه الشرطة كالاسد.

ثم اخذ يسرد على ابيه ما شاهده... عند دخولهما.

- آه... لو رأيته يا باران... كيف أخذ يحاجج الشرطة.

يا عيني... راح يتهم الشرطة بانهم هم الذين دسوا المناشير في جيبه.

وارتخت ذراعاً الرجل عن ابنه، وتساءل بقلق:

- اذن فقد اكتشفوا أمره... الاوغاد.

ثم قال بألم وحن:

- واحد منا وشى به...

- منكم؟ كيف يمكن...

- منذ اكثر من ثلاثة اشهر وهذا البطل الصغير هو الرثة التي تنتفس

من خلالها. يأتينا بالمناشير والاخبار.

لحظة... سأعود اليكما.

وحين نهض وتوجه الى غرفة اخرى، بدا لفرهاد، ان اباه... قد ضعف،

وان شرواله قد غدا واسعاً عليه اكثر مما كان...

سأل فرهاد:

- ذلك الولد... هل ابوه هنا ايضاً؟

- كل هؤلاء... آباء له... يا ولدي.

مع ابيه جاء مجموعة من الرجال... احاطوا فرهاد...

بحب، يقبلونه، يحضنونه، يعطونه الحلويات والموز... والتفاح...

سأله ابوه اذ رآه يعبيء جيوبه ببعض قطع الحلوى والتفاح... والموز...

- لماذا لا تأكلها... يا فرهاد؟

سكت فرهاد، الذي غاب عنه ان اباه يراقبه، خجلاً تكلم العم الياس...

- انا اعرف...

- ها فرهاد... قل ابني... لا تخجل...

واخذ الرجال، يشجعونه:

- هيا فرهاد... اخبرنا... هيا...

زاد احساسه بالخجل:

- هيا... هيا...

فاضطر ان يقول بصوت لا يكاد يسمع:

- لداليا:

هتف العم الياس:

- عرفت... بالمسيح عرفت...

ضحك الرجال... بينما اضاف العم:

- بالمسيح... الولد يحب ابنتي...

ضحك الاب بطلاقة:

- صح النوم... يا رفيق العمر... معلوماتك متأخرة... وصاح واحد من

الرجال...

- متأخرة كلش...

وراح الجميع في ضحك متواصل...

ثم خلا الرجلان الى حديث خاص بينهما، انصرف خلاله فرهاد الى التنقل بين نزلاء السجن الذين كانوا يستقبلونه بحفاوة عجيبة. يتحدثون اليه بشغف يتندرون بلغته العربية المكسرة... يسألونه عن الكلمات الكردية «اي كاكا... شنو التفاح بالكردى... اي كاكا... هذا شنو بالكردى... ذاك شنو بالكردى» ويضحكون بطلاقة غريبة...

وارتسمت في ذهن الطفل معالم عالم غريب... عالم رجال سعداء، بالرغم من كل شيء، كان هو الاخر سعيداً بينهم في غاية السعادة، تعلم كلمات عربية جديدة لم يكن يعرفها... هم علموه... فظل منطلقاً كعصفور في الفضاء... يحوم من شجرة الى شجرة... يتنقل من انسان الى انسان.

وحين حانت ساعة الفراق... اختنقت عيونه بالدموع

- لن تعود الى البكاء يا فرهاد... هه؟

وصاح اكثر من واحد...

- عيب كاكا عيب... أنت رجل.

احكم تطويق رقبة ابيه بذراعيه... يأبى فراقه:

- بابا... تعال معنا... بابا لا تبق هنا وحدك...

- لست وحدي يا ولدي... كل هؤلاء معي...

- كلكم اخرجوا... كلكم...

- في المرة القادمة... يا فرهاد... المرة القادمة... نأمل ان... لا تجد احداً هنا...

وراح احدهم يغمر الاخر بالقبل... لمح دموعاً في عين ابيه... اخفاها بسرعة...

- خذه... الياس... خذه عني...

- هيا بنا يا فرهاد... هيا داليا تنتظر... هيا يا ولدي لا تزد عذابات

الرجل...

اندفع نحو الامام بشدة، اذ توقفت السيارة فجأة.  
 أطل برأسه، كان ثمة موكب طويل من السيارات، يتقدم، عبر شارع  
 المكتبات الضيق، واذا لمح السائق القلق في عيني فرهاد، قال بما يشبه  
 الاعتذار...  
 - كان عليّ أن اسلك طريق الجبل.  
 سأله فرهاد...  
 - ما الذي يجري؟... لماذا هذا الازدحام؟...  
 أجاب السائق، وهو يبحث عن علبه السجائر، داخل السيارة، وكامر  
 عادي جداً:  
 - جنازة...  
 وأضاف بعد أن أخذ سيجارة من علبه سجائر فرهاد، الذي كان أسرع  
 منه في العثور على علبته:  
 - جنازة أخرى الى النجف...  
 ثم مال اليه... وقال مبتسماً:  
 - لقد غفوت بشكل جيد... يا استاذ؟  
 - غفوت؟...  
 - كالطفل الرضيع.  
 قال بشيء من الارتباك:  
 - لا ادري... ربما... ربما...  
 - يبدو انك لم تنم ليلة امس...  
 يا الله... أهو تحقيق...  
 انصرف عنه، بالنظر الى الشارع...

بألم شديد راح الاب يفك ذراعيه عن رقبته ويدفعه برفق في احضان  
 العم الياس... الذي احتضنه بحب أبوي غامر...  
 وأحاط به الرجال الآخرون...  
 كانت ساعات، لا تنسى... لا تنسى...  
 في البيت، بعد ان روى العم الياس. ما جرى. اضاف:  
 - بالمسيح... جعلني الملعون ابكي...  
 ولا مته امه...  
 - كيف تبكي عنده، يا فرهاد...  
 قال بسداجة:  
 - في المرة القادمة... لن ابكي والله...  
 قال العم الياس بحزن:  
 - لن تكون ثمة مرة قادمة.  
 اختضت الام...  
 - لماذا يا ابو عزيز؟... ماذا تقصد؟ ماذا سيفعلون بالرجل؟  
 - لاشيء... لا شيء... فقط قرروا نقله الى سجن نقرة السلطان...  
 - النقرة...؟. يا الهي...  
 - بلا عويل... ولا بكاء... قومي... أعدي لنا شيئاً نأكله...  
 وابتلع سجن نقرة السلطان ست سنوات من عمر ابيه ثم خرج منه  
 محملاً، ببعض هدايا السجن، بذور الموت الخفية التي يزرعها في  
 الانسان... التدرن... الروماتيزم... بالاضافة الى شلل جزئي في كلتا يديه،  
 بسبب تعليقه لفترات طويلة... وبضعة كسور في اضلاعه... ومن يدري  
 ماذا ايضاً كان يضاف الى القائمة... لو لم يفجر الشعب ثورته في تموز.

احس بانقباض في روجه لمراى سيارات التاكسي التي تشق طريقها ببطء شديد، ومشقة، وسط زحام يطبق على السوق، كالسلحفاة تتقدم الموكب سيارة طويلة، تحمل نعشاً مجللاً بقماش اخضر، تتبعها مباشرة سيارة من نوع «البيك آب» مفتوحة، اصطفت فوق مصاطبها الثلاث مجموعة كبيرة من النسوة والصبيان والصبايا، يلطن الوجوه يشققن الصدور، وقد تكلفت رؤوسهن بالاطيان والاحمال، كما ملح مجموعة من الرجال في سيارة اخرى، اصطبغت اكتافهم بالطين ايضاً، طين متيبس، متشقق.

ووجههم الشاحبة البائسة، قد غدت اكثر شحوباً ويؤساً، بسبب من ظلال الشعور الذي لم يحلق، ربما منذ امس... او قبله... «لعل داليا تريدني. ان اكون كواحد من هؤلاء»...

مد يده، بلا شعور، الى وجهه الاملس، لم يتوقف عنده، اذ سرعان ما تركه، وأمسك بشعرات شاربه بين اصبعيه... وراح يفرکہا بعصبية. غطى العويل الحاد الذي انطلق فجأة من السيارة الملائى بالنساء النادبات، على اصوات الابواق والصخب والضجيج، ازداد احساسه بالضيق والانقباض، ومع هذا فقد ظل يرقبهم بانشداد وذهول.

نهضت من بين الحشد النسائي في سيارة «البيك اب» امرأة متقدمة في السن، القت بالخرقة السوداء المطينة التي كانت تلفها على رأسها فانطلقت خصلات شعرها الابيض، تتطاير، هنيهة... ثم أمسكت بها بعشر أصابعها. تقتلعها من جذورها بهستيريا غريبة، وهي تفح كالافعى:

حوه... حوه... حوه...

وترد عليها النسوة الاخريات... بمزيد من اللطم والصراخ والعويل، اغمض عينيه على الم شديد راح يعصر روجه بقسوة تراءت له امه، وسط مجموعة من النسوة، تقطع شعرها و و...

لا... لا... آه... يا الهي!

- لماذا لا ترجع الى طريق الجبل.؟

خرج السائق من ذهوله:

- ها؟! لا... اعتقد ان الموكب قد اشرف على النهاية.

ثم اخذ يتحدث الى احد سواق الموكب...

حصن فرهاد نفسه ضد الافكار القاثة السوداء التي بدأت تحاصره بالتفكير في ناسو... نقطة الضوء الاكثر اشعاعاً وتوهجاً، وسط العتمة التي باتت تحييط به من كل جانب... وتوشك ان تزحف على كل ما لم تشمله حتى الان.

احس بالندم...

لقد عاملت الطفل بقسوة لا مبرر لها... لماذا...؟ ما ذنبه...

وناسوس؟. كان ينبغي ان اعمل في سبيل توفير ما يأكله... حفنة حنطة تكفيه اياماً... لا يمكن ان نتركه، على اية حال، بلا اكل... ترى... هل عثر... له... ناسو... على شىء... لعل امه... تعاونه في البحث، او تدبر له... شيئاً...

\*\*\*

ناسو!!

سأل اباه ذات مرة

- لماذا ناسو بالذات؟

واضاف:

- ارجو ان لا تعتبر سؤالي اعتراضاً...

اجاب ابوه... وهو يبتسم!

- ناسو... يا فرهاد... يعني الافق، كما تعرف، وانا احب الافق.

- فقط؟

ووسع الاب من ابتسامته.

لم يقتنع فرهاد... كل انسان يحب الافق، هل يتوجب على كل انسان ان يسمي ابنه، أو حفيده، أو عزيزاً عليه باسم «ئاسو»؟

وثمة اشياء كثيرة يحبها الانسان في حياته... هل يتحتم عليه ان ينجب على قدرها اطفالاً، لكي يحمل كل طفل أو طفلة اسم واحد من الاشياء التي يحبها...؟

وثمة اشياء عديدة يحبها الانسان... ولكن اسماءها لا تصلح اسماء لا للبناء ولا للبنات...

لا... لا... لا بد ان يكون ثمة سر... ثمة شئ خاص لتعلق الاب بهذا الاسم بالذات...

وحتى حين قال الاب اذ لمح عدم الاقتناع في عيني فرهاد:

- ئاسو، بالنسبة لي يعني الكثير، يعني الوجود، يعني الدم الذي يتدفق في عروقي... يعني الدم الذي احسه فيك، في داليا... في عزيز... في صديق العمر ألياس في العديد من الناس...

- وئاسوس؟ عمو...

سألت داليا.

- ئاسوس؟

وراح الرجل في حلم عميق:

- ئاسوس، يا أبنتي، جبل في كردستان، ضمن سلسلة جبال سفين.

- ما خصوصية هذا الجبل، بالاضافة الى جمال الاسم؟

- هذا الجبل، غدا لنا، في واحدة من اشد النكبات التي حلت بنا... امنا الرؤم... بسط علينا حمايته وحنانه فحفر ذكراه، في أعماق اعماق

وجداننا... فوق سفوحه، وبين كهوفه ومغاوره، عشنا ايام الرجولة... وكان بيننا وبينه ميثاق الرجولة...

\*\*\*

اندفع فرهاد الى الخلف، اذ انطلقت السيارة الى الامام، وانتبه الى ان الموكب ما كاد ينتهي حتى اندفع السائق تلك الاندفاع المفاجئة...

- آسف... كان لا بد... والا مكثنا حيث نحن حتى منتصف الليل، فثمة جنازات اخرى... قادمة.

- جنازات اخرى؟

- من يدري... هذا الطريق لا يخلو منها عادة...

قال ذلك، واستدار بعنف نحو اليسار، وبصعوبة بالغة دلف زقاقاً ضيقاً، اجتازه بمهارة فائقة، ودخل الشارع العام، وبعد فترة وجيزة كان امام الجسر الحديدي القديم...

- جنازة اخرى قادمة... يجب ان اجتاز الجسر قبل وصولها، والا اعاقتنا.

وانطلق بسرعة فائقة، متجاوزاً بضع سيارات ومارة... وحين سأله فرهاد عن سر هذه الجنازات، اليوم بالذات، تهرب السائق... بفضافة:

- لا اعرف...

ثم اضاف وقد تجهم وجهه:

- ولا اريد ان اعرف...

استغرب فرهاد جوابه كثيراً، فقال معتذراً:

- آسف، آسف جداً... لم ادر ان الامر يغيظك.

التفت إليه السائق، واخذ يتحدث إليه بصورة غريبة جداً...

- الامر، لا يغيظني فقط، وانما يمزقني... يقتلني، ولهذا لا اعرف... ولا

اريد ان اعرف... ولماذا اعرف بحق الحسين؟

وارتبك فرهاد كثيراً، صعقته ثورة السائق المفاجئة:

- اعتذر اخي اعتذر... عن كل ما بدر مني...

ولكن سحياً قائمة سوداء، كانت قد ظللت وجه السائق... بدا وجهه خلالها في غاية التجهم، وعينه قد احتقنتا، حتى انه تناول الخرقه التي يمسح بها زجاج سيارته، واخذ يخط فيها... ويمسح عينه والعرق المتصعب في صدره ورقبته... ووجهه...

لست وحدك المهموم يا فرهاد... ومن يدري... قد لا يكون همك شيئاً ازاء ما يحمله صاحبك من الهموم...

واجتاز السائق الجسر فعلاً، قبل ان تبلغه طلائع الجنازة القادمة.

وحين بانّت سيارات بغداد رابضة في المرأب، ولم يلاحظ على السائق انه في سبيل ان يتوقف... او يخفف من سرعته المتصاعدة، قال بتردد واضطراب:

- لقد... وصلنا الكراج... ايها الاخ.

- ها...؟

- الكراج... لقد اجتزناه...

التفت اليه السائق، بعينين محمرتين، اكدتا شكوكه وزادتا من اضطرابه وارتبائه...

- اقول... هذا الكراج... خلفناه وراءنا...

آنذاك... فقط داس السائق على الفرامل بقوة... فعاطت السيارة كأمرأة تنتحب.

وحين اخذ فرهاد ينقده الاجرة، أمسك بكلتا يديه:

- استاذ... اعذرني...

- بل... أ... أنا الذي اعتذر...

- ارجوك استاذ... حين قلت لك لا اريد ان اعرف، فانا اعني ما اقول... ولماذا اعرف...؟ لو عرفت، لوجب ان أتجملل بالطين كواحد من الرجال او النساء الذين رأيتهم...

- انا... اكرر أسفي... إذ...

- ليس هيناً على الانسان ان يعرف ان واحدة من هذه الجنازات، هي جنازة ابنه.

وارتعب فرهاد...

ايكون هذا الرجل مجنوناً... ما الذي يقول...

- ابنك؟

- في عمر الورد يا أستاذ... سجنوه منذ اكثر من سنتين... وحتى الآن لا أدري في اي سجن هو... وقد لا اراه الا في تابوت...

- ولكن...

- هل صحيح انهم يقتلون كل سجين يأبى ان يخون ضميره؟

- أخي المسألة...

- دعني... الحق الجنازة التي عبرت، اسأل عن صاحب الجثة...

من يدري... فقد يكون ابني... ابني الوحيد...

وانطلق بسيارته... تاركاً فرهاد في ذهول تام... ثم انتبه الى انه فعلاً يلاحق الجنازة... ويندمج في الموكب... فقال في نفسه بألم:

«مسكين يبدو أن قوة اكبر منه تسوقه الى ما يتهرب منه!!».

ظل ناسؤ يبحث في ارجاء البيت عن شئ يطعم به طائرته، دخل المطبخ، فتح الكاونتر، قلب الاواني والصحون، كانت ثمرة فتات الفطور، ما تزال فوق المائدة، عشر على كمية من اللبن... في واحدة من الاواني وفي اخرى على بقايا القيمر... توقف عند اناء اللب، تساءل ترى هل يأكل ناسؤس اللب؟

وما ادراني؟

هز كتفه مستاء من جهله!

ثمّة مسائل كثيرة لا يعرفها، لا بأس، قال لنفسه... حين اكبر اتعلم... غمس سبابتته في اللب... واذا ذاقه انكمش وجهه... حامض... اللب حامض.

حسين، ذات مرة، قال له... انا لا اطعم بليلي أي شئ حامض... لأن كل أكل حامض يخرس صوته.

أذن فهو يخرس صوت ناسؤس ايضاً...

ذرف فوقه كمية من السكر، خبطها مع اللب بسبابتته، ذاقه ثانية... حلا طعم الخليط كثيراً... ولكنه ما يزال لا يدري فيما اذا كان «العبيج»... يأكل اللب أم لا... حلوه... أو حامضه...؟... حامضه لا... لا... بالتأكيد... ولكن الحلو منه... ربما... لا...؟ الا يأكل البلب التمر... التمر حلوه... واللب قد اصبح حلواً... واذن.

عجز عن جواب شاف. فصاح على امه ثانية:

-ماما... العبيج يأكل اللب؟

ولما لم يسمع اي جواب، راح هو يأكله... يلطع سبابتته بلذة... نبهه صوت القبيج الى وجوده مجدداً، اصغى لغناؤه الجميل بكل جوارحه وهو

بيتسم، ولكن فجأة تهشمت الابتسامة، وحل محلها وجوم على اثر انقطاع طائرته عن الغناء. كل مرة يغني فيها اطول، ولكنه اليوم... جوعان...

ماذا افعل له؟... ماذا استطيع ان افعل... لماذا لا يسمعي احد منهما؟ مع من اتكلم اذن؟... هل اكلم الحيطان؟ ماذا دهاهما اليوم..؟

توقف القبيج عن غناؤه تماماً... فجمدت اصبعه على شفتيه، ثم توجه حيث القبيج واذا راه الاخير قادماً نحوه ادار له ظهره... «زعلان، من حقه... ان يزعل... حقه والله». وقف على مبعده منه ثم اقترب من القفص، مد له اصبعه، توقع ان يمتد اليه ثانية المنقار الاحمر المدب... ولكن القبيج بدلاً من ان يقترب منه ظل لاصقاً بمؤخرة القفص، يرنو اليه بحزن وعتاب... «حقك... والله. حقك تعال بابا... تعال... تعال...»

ولكن القبيج اذ أبصر كفاً صغيرة تدخل القفص من فتحة الباب تهم ان تمسك به، تحرك داخل سجنه حركة عنيفة في محاولة ان يكون خارج متناول اليد الممدودة اليه، فضرب اناء الماء الصغير... برجليه الحماوين... وسفح ماؤه...

- وكيع...

صرخ به ناسؤ... متصوراً نفسه اباً مثل ابيه، يعنف ولده... ثم زاد من فتحة القفص، يدفع الباب الى الوراء اكثر، وتناول الاناء بيد، بينما شبك اصابع اليد الاخرى على فتحة الباب، يمنع فرار الطائر واذا التقط الاناء اعاد الباب الى وضعه الاول، وتوجه نحو صنبور الماء ليمسأه ثانية.

ولكنه لم يكذ يقترب من «المغسلة» حتى شق الصمت المخيم على ارجاء البيت، رنين التلفون مرة اخرى... فترك الاناء وهرع نحو التلفون ولكن قامته القصيرة قصرت عن موضعه، فتراجع مدحوراً، وقف اسفل السلم:

- ماما... ماما... تلفون...  
وأسرعت داليا بالنزول...  
- ماما... تلفون.  
كررها ناسو...  
- اسمع...

قالت داليا باقتضاب.  
كان التلفون ما يزال يرن.  
- الو... من؟ ها... عزيز؟. عزيز مرحباً...!  
صاح ناسو بفرح طائر:  
- خالو؟. يا ماما... خالو؟  
اجابت داليا بسرعة:

- اجل ابني... اجل... والآن دعني اسمعه... دعني... الو... لا... لا... انه  
ناسو... جيد... جيد... ها تتكلم معه؟... مع ناسو؟... كان ناسو... قد  
ابتعد باتجاه المغسلة حيث ترك «الطاسة» حين نادته امه:  
- تعال ناسو... تعال... خالك يريدك...  
- انا؟...

وكاد الطفل يطير من الفرح... ولم يصدق الا حين وضع السماععة بين  
كفيه الصغيرتين... وامه تشد له قبضته عليها:  
- هكذا... هكذا... هل تسمعه...؟

- لا... انه... ساكت...  
- انت كلمه... قل له... كيف حالك يا خالو...؟

- الو... خالو... خالو... كيف حالك؟ يقول جيد... يقول جيد...  
وربتت الام على رأسه... بينما كان هو ما يزال يتحدث الى خاله:

- انا؟... انا ايضاً جيد... لا... انا احسن منك. «ثم لامه» يقول هو  
احسن مني... «تضحك الام» ها... كنت العب مع «العبيج» لا... يغني...  
جوعان... ها... بابا...؟ خرج... لا ادري... خرج من الصباح... ها... ماما...  
هنا... ماما... ماما... يريد...  
وخطفت داليا السماععة من ابنها:

- هات... ابني هات... الو... عزيز... لا... لا... لقد خرج... ليجلب سيارة  
اجل... اجل... يا عزيز... بالتأكيد... نحن قادمون... لقد... تأخر. لا أدري  
لماذا... بسبب الازدحام حتماً... اليوم جمعة... ورأس الشهر وتصور وضع  
السيارات في الحلة... لا سناخذ سيارة الى أربيل مباشرة... قطعاً أحسن...  
عزيز... قل لي... كيف الآن؟. تدهور... اسمع... بصراحة اخبرني... اما يزال  
باقياً... حسن... حسن... ذلك ما كنا نخشاه فعلاً... ان لا نحظى بالنظرة  
الاخيرة منه... عزيز... وماما...؟ ماما عندهم أيضاً... ان وجودنا ضروري...  
ابدأ... ابدأ... وحق بابا... لا بالمسيح... لا... انا لا احمل اية ضغينة ضد اي  
منهم... أجل وحتى دلشاد... صدقني حتى دلشاد كيف تسمح لنفسك ان  
تتصور الامور على هذا النحو الغلط...؟. حسناً حسناً عزيز... بلغ تحياتنا  
للكل... مع السلامة... مع السلامة...  
واضافت بعد ان تركت السماععة... مع السلامة... يا حبيبي.

تساءلت، بعدها بقلق:

- لماذا تأخر الى هذا الحد... ماذا حل به...؟...

ولم تتوقف عند اسئلتها طويلاً، اذ اسرعت تصعد... تكمل تهيئة  
الحقائب، ولكنها لم تكذب تبليغ السلم، حتى توقفت ثانية القت نظرة على  
الساعة، كانت تقترب من الحادية عشرة...

- لا... لقد تأخر اكثر مما ينبغي...

ونفذ صبرها...

وبدلاً أن تصعد الى غرفتها... توجهت نحو الباب الخارجي... تزرع  
الطرقات بنظراتها القلقة.  
وانتبهت الى ناسو يقف الى جانبها.  
- ماما... اين ذهب بابا...؟  
قالت وهي تسد الباب وتعود الى الداخل ثانية:  
- ذهب ليأتي بسيارة.  
- سيارة...؟ هل نسافر لبيت خالو؟  
ربتت على رأسه بحنان:  
- اجل... بابا... اجل...  
ولكن الطفل الذي كان يسير لصقتها، محاولاً ان لا يتقدم عنها ولا  
يتأخر كي لا تبتعد عن رأسه يدها التي تداعب شعره، توقف فجأة،  
توقفت هي الاخرى... نظرت اليه بدهشة:  
- ها... ناسو... ماذا بك...؟  
قال الطفل باستنكار.  
- انت قلت بيت جدو.  
استاءت المرأة:  
- اوه... وما ادراني ما الذي اقول... تعال... تعال...  
وتركته حيث هو بينما اسرعت تدخل البيت، لحق بها ناسو عدواً.  
واخذ يتمسح بها:  
- وناسوس...؟ ماما...  
- ماذا به ثانية...؟  
- هل... هل ناخذه معنا؟  
- معنا؟ ما الذي تقول... عاقل انت ام مجنون؟

- ماما... الله يخليك... ماما...  
- لا... ابني... لا.  
قالتها بحسم، بينما راح الطفل يحتج...  
- ولكن كيف نتركه وحده... الققط تأكله...  
- تحسبه عصفوراً صغيراً... الققط نفسها تخافه.  
- بابا... قال... القطة تأكله...  
- سنغلق الابواب والشبابيك، فمن اين تدخل القطة؟  
- ولكن... ولكن... ماما... من يطعمه... من يسقيه الماء... إذن...  
واعجبت الأم بذكاء ابنها وقبلته باعتزاز وهي تقاطعه:  
- اسمع ناسو... لا تثرثر اكثر... سنتركه في بيت حسين... يرعاه لك  
لحين عودتنا.  
وتحمس الطفل للفكرة التي وجدها افضل تحقيق لفكرته هو، فصرخ  
مبتهجاً:  
- والله... احسن فكرة... يا ماما.  
وارتاحت الام لابتهاج ابنها... ولكن ناسو لم يلبث ان أضاف متسائلاً:  
- هل آخذه الآن:  
- الآن...؟ لا... ابني لا... سييرجع ابوك في اية لحظة. حين نخرج  
نسلمهم اياه من الباب.  
وفتر حماس الطفل بعض الشيء اذ تذكر جوع الطائر:  
- والاكل ماما؟  
- ها؟  
- ناسوس الآن جوعان... جوعان لا يستطع الوقوف على رجليه من  
شدة الجوع... انظري اليه ماما... انظري...

- لا... هذا بسبب الحر...

ثم سألته:

- الم تجد شيئاً في الثلاجة؟

- لا... ماما... لا ابداً...

- لا بأس... لا بأس، سيطعمه حسين حتى يجعله يتخّم... والآن تعال معي تعال، ابدل لك ملابسك فانت ما تزال بالشدداشة... لقد نسيتك نسيتك تماماً...

قالت ذلك واخذت الطفل من يده، ولكن ناسو لم يرضخ:

- دعيني اطعمه شيئاً اولاً...

- ليس الآن... يا ولدي... ليس الآن... لا وقت لدينا... هيا... هيا... معي.

واخذت تدفعه نحو السلم.

ولكن حين سمعت صوت سيارة في الخارج، تركت ناسو حيث هو... وهي تقول بارتباك:

- يمكن رجع... لعله... هو... انتظر... انتظر.

وركضت الى الباب الخارجي ثانية...

لم ينتظرها ناسو، كما ارادت امه، اذ انه لم يكذب يرى الاناء الفارغ فوق «المغسلة» حتى ركض نحوه... يملؤه.

١٠

العشور على طائرة بات اسهل من العشور على سيارة. قال فرهاد ذلك بألم حين ادار سائق آخر مقود سيارته هازاً رأسه بالرفض:

- اربيل؟... لا... سيد... لا.

ان هذا لا يطاق...

هكذا الامور دائماً... حين تكون في منتهى العجلة، تستبطن، مرور الثانية الواحدة، وتعدّها قرناً كاملاً، ثم ترتضى مرغماً مرور هذا القرن. على ذلك النحو الذي تتلف كل دقيقة فيه، بعضاً من اعصابك، تتكاسل الدنيا كلها... حتى تتوقف عند نقطة واحدة، متحجرة بشكل تام... لا تريمها... ابداً... ابداً...

كان السائق، الذي اوصله، هو لاصقاً بذهنه بشكل لا يريمه... أى بؤس ان يبسح الانسان عن ابنه، هذا الجزء الحي منه، بين... بين الجنازات... اه...

- اخي. ارجوك... أريد سيارة الى اربيل... هل...

- اربيل... لا... عزيزي... لا...

والآن ما العمل... يا فرهاد، فهذا هو السائق الثالث الذي يرفض الاستجابة لرجائك... مرة اخرى ما العمل يا فرهاد... لا... لا... لا ينبغي ان اقنط... لا بد ان يكون ثمة مخرج... لا بد... لا بد... لو... لو اغريتهم بزيادة الاجرة... بجعلها مضاعفة مثلاً...

وتحسس جيب سرواله... اخرج كل ما يحمل من نقود، عدها... عشرة دنانير... وبضعة دراهم... تكفي! وبعد اقراره مباشرة تساءل... ترى اتكفي؟

فكر... ما يزال ثمة مبلغ، لا ادري كم هو، في البيت... يمكنني أن

اضيفه عليه... و... ولكن، وفي غمرة انشغاله بما بقي وبما لم يبق من مصروف الشهر وسواه... نسى السؤال الاساسي «اتجدى الزيادة...»

جرب على اية حال... أجرب؟... أجرب مع من؟ هل فسح لي احدهم المجال؟ هل طلب شيئاً ورفضت؟ ان الواحد منهم ما يكاد يسمع اسم اربيل حتى يسد اذنيه عن أي حديث بعده... كما لو كانت اربيل قد غدت جهنم، فغرت فاهها لابتلاعه... اه... يا الهي... والمسؤول عن الكراج الذي خابرتة:

- اخي خابرتك من البيت بشأن سيارة الى اربيل...

- اوه... لا يرضى احد من السواق.

- كان عليك ان تخبرني، ولا تجعلني انتظر كل هذا الوقت...

اجاب ببساطة:

- نسيت... آسف... نسيت.

- ولكن...

- حاول بنفسك يا اخي... ها انت مع السواق وجهاً لوجه... لعلك تستطيع ارضاءهم...

وتوقف عند «لعلك تستطيع ارضاءهم». اذن... لو... شرحت لهم الحالة... لو زدت لهم الاجرة...

- اخي ارجوك... اسمعني، اسمعني فقط... واذا لم تعجبك المسألة أرفض... كما تشاء...

وارتضى الرابع ان يستمع اليك، أو بالحرى ارغمته على الاستماع اليك... ولو لم تمسك بمقود سيارته بكلتا يديك... وتدخل نصفك العلوي فيها... لكان له شأن آخر معك... لكان شأنه شأن الآخرين... فر منذ الكلمة الاولى...

- اخي ارجوك... الحالة خطيرة... جداً... ابي... ابي على فراش الموت...

يجب ان اكون عنده في لحظاته الاخيرة، هل تفهمنى ادفع لك ما تشاء... فقط اطلب... اطلب اي مبلغ تريد... ارجوك ساعدني... حاول ان تفهم وضعي...

واخذت تغور في جرحك، تنثره امامه حديثاً مدمى ولكن ما اصعب التواصل، مع انسان، كل ما فيه يختلف عن كل ما فيك... مستحيل... مستحيل، مهما قلت، مهما فعلت في... جرحك توغلت... فلن تجعل المقابل يحس بعض ما تحس أو يعاني جزء مما تعاني... او يرى شيئاً مما ترى...

- آسف... آسف... المسافة بعيدة والسيارة ليست ملكي.

- ارجوك... اخي...

- سيد، الطريق يغلق في الخامسة

اتحسبني صاروخاً...

- ادفع لك... ما...

- آسف... ليست المسألة مسألة دفع اطلاقاً... آسف...

- و... ولكن...

- انت تفكر بمصلحتك... وانا ايضاً افكر بمصلحتي... ارفع يدك عن المقود رجاء...

-آ... آسف... آسف...

افكر بمصلحتي؟ افكر بمصلحتي... لو كنت اذهب لحفلة عرس... او لمجرد زيارة عادية... اكنت اتعلق بالامر الى هذا الحد... افكر بمصلحة رجل عزيز عليّ اريده ان يموت قريير العين... لا اريده ان يموت ويترك موته في قلبي حسرة، تاكلني حتى تقتلني... آه... افهموني... ولتلتقي مصلحتان... مصلحتان فقط... اه... يا الهي...

لقد انتصف النهار وانا ما ازال هنا كأني تمثال خارج عن قانون الحركة...  
اسمع يا فرهاد... لماذا لا تسافر الى بغداد... ربما يكون بوسعك ثمة ان  
تعثر على سيارة... او تكون قد قطعت جزءاً من المسافة على الاقل...  
جزءاً من المسافة؟ وما جدوى هذا الجزء الذي اقطعه؟...

احس بعطش في حلقه... جعل طعم الدخان مرأً، غاية في المرارة، التي  
بالسيجارة بالرغم من انها لم تنتصف بعد، اقترب من حانوت... تناول  
زجاجة «سفن» لم يرتو... طلب ماء من صاحب الحانوت... اجابه... حار...  
سيد... حار... تركه وتوجه نحو صنبور ماء وسط باحة المرآب، ملاً كفيه...  
وراح يعب منه... لم يبال، كم يبدو فعله هذا غريباً، لا سيما وقد كان ثمة  
مقهى قريب منه...

لا بد ان افعل شيئاً، لا ينبغي ان اترك اليأس يشلّ قدرتي على اية  
حال...  
وقرر...

ارجع الى البيت فوراً... هي مستعدة الآن حتماً... أتني بها الى الكراج،  
وننطلق الى بغداد...

وتقدم من الشارع العام... بانتظار عربة تقله الى البيت... ولكنه اذ  
ابصر سيارة جواد، السائق الذي يأخذ زوجته الى المدرسة... مع بقية  
المعلمات، من بين مجموعة من السيارات تتقدم باتجاه المرآب تهلل  
وجهه... واخذ يلوح له:

- جواد... جواد... ابو كاظم... يا ابو كاظم...

ونزل جواد من سيارته متجهماً الوجه... وقبل ان يفتح فرهاد فاه... اقبل  
نحوه... واطبق بكلتا يديه... على كف فرهاد التي امتدت لمصافحته... ولم  
يكتف بذلك، بل اخذ يضم فرهاد الى صدره مما اوقعه في حيرة... وكان  
لا بد ان يضع حداً لكل هذا:

- جواد... المسألة...

وقاطعه جواد بصوت متقطع:

- أعرف... كاكا... أعرف...

- تعرف؟...

- أم تأسو... كانت على الباب... يبدو انها خرجت على صوت  
السيارة...

اخبرتني بكل شيء... هل صحيح يا فرهاد... هل صحيح ان ابا دلشاد  
يعاني سكرات الموت...

اجاب فرهاد:

- اجل... ابو كاظم... صحيح...

قالها بالأم... وهو يتمنى ان لا يكون الأمر كذلك.

- قل سواه... يا رجل... قل سواه... لقد كان دائماً كالاسد... ماذا جرى  
له... لا حول ولا قوة...

- المهم... يا ابا كاظم... منذ اكثر من ساعة اتوسل بهذا السائق وذاك،  
ولا احد منهم يوافق...

قال جواد يحزن:

- والله... يا كاكا... يا حسيبي... انت أدري الناس بمكانة ابيك في  
قلبي... ولكن سيارتي متهدمة... و...

- لست افكر بسيارتك يا ابا كاظم... فانا اعرف... وانما ربما كان  
بوسعك ان تدبر لي الامر مع احد السواق... من معارفك.

وتحمس جواد:

- اعتمد عليّ كاكا... اقلب لك الحلة كلها... انتظرني هنا...

- لن أتحرك لحين مجيئك...

واذ اندفع ابوكاظم بسيارته، ندم فرهاد «لماذا هنا... لماذا لم اقل له...  
في البيت... أوه... المهم...»

وتسلل خيط من الراحة والهدوء الى نفس فرهاد القلقة... المضطربة،  
ليس فقط لان مهمة شاقة، اخفق عن تحقيقها، قد زالت عنه، وانما لان  
واحداً من اكثر الناس الذين التقى بهم فرهاد صدقاً واخلاصاً... قد تكفل  
بالمهمة...

واقترعت دكة في المرآب... وقفز ثانية الى ذهنه السائق الباحث عن ابنه  
بين الجنازات... «نسيت اسأل جواد عنه. لاشك انه يعرفه. سأسأله حين  
يعود... لايد أن اعرف سر هذا الرجل»

واذ تذكر امراً خاصاً جداً، اخرج من جيب سرواله الخلفي ورقة صغيرة  
وكتب فيها بضعة اسطر... ثم طواها، بعناية بالغة، وظل يطويها حتى  
غدت بحجم حبة باقلاء... ضمها بين اصابعه، بانتظار عودة جواد... ورداً  
على سحائب خفيفة من الشك اخذت تحوم في ذهنه قال:

- ما المانع...؟ لن اجد في هذا الظرف افضل منه... ليس في ذلك اي  
بأس... جواد... انسان رائع... رائع حقاً...

\*\*\*

في نفس سجن الحلة المركزي... ويا للمصادفة الغريبة!!

اجل في السجن نفسه، التقى بجواد عبد الامير كان فرهاد آنذاك في  
الصف المنتهى في الكلية، حين القى القبض عليه، مع مجموعات كبيرة  
من الناس من قطاعات متباينة، عمال، فلاحين، طلبة، كسبية، عاطلين...  
نساء رجال... صغار كبار... في عشوائية عمياء.

وبعملية اشبه بالقرعة تمت، بعد أن فاضت سجون بغداد ومعتقلاتها  
بالافواج التي تدفع اليها دفعاً كل يوم، اقتيد هو... ومجموعة من الطلبة  
الى سجن الحلة ولم يكن سجن الحلة بافضل من سجون ومعتقلات بغداد

وربما كان كذلك شأن كل مدن العراق، اذ حين بلغه كان يفيض بنزلاته  
وكل يوم يتدفق نحوه فوج جديد. أو «موجة جديدة». على حد تعبير  
المسؤول آنذاك- حتى بات معه سعيداً كل السعادة ذلك المحظوظ الذي  
يعثر على بضعة سنتمترات من الارض، يقتعدها... مريحاً جسمه  
المكدود... لا... حين زار أباه فيه صغيراً كان الوضع افضل، صحيح  
البنية كانت اصغر... ولكن النزلاء كانوا اقل عدداً، اقل... بما لا يقارن  
بوضعهم الحالي...

ذات يوم ومع تدفق وجبة جديدة على السجن جاءه «المسؤول وكان  
انساناً طريفاً، رائعاً، لم يعرف اليأس، ولا الضعف، بالرغم مما كان يلقاه  
من تعذيب يومي، طريفاً الى روحه، قال له بدعابة:

- ضمن «الموجة الجديدة» صديق يسأل عنك...

حسبها واحدة من دعاياته... اجابه فرهاد:

- كل اصدقائي باتوا قسمين، احدهما التحق بالجبل والآخر يعيش  
معي هنا... والاصدقاء الجدد، لم تلدهم امهاتهم بعد.

- فرهاد... صدقني... لست مازحاً... وهو يدعى جواد.

- جواد... لا اذكر اني اعرف صديقاً بهذا الاسم،

المهم... اين هو؟

ووجد فرهاد نفسه امام رجل تجاوز الاربعين، قوي البنية، محروق  
الوجه، ذي عينين حادتين... يرتدي معطفاً متهترناً... كلع لونه... حتى بات  
معه في لون جلده... المحروق...

تأمل فرهاد وجهه الاسمر... المشعر... وعبثاً حاول ان يتذكر اية علاقة  
سابقة من اي نوع كانت بهذا الرجل والرجل، هو الآخر، ظل جامداً،  
واضح انه ايضاً لا يعرف فرهاد... لم يسبق لاي منهما ان التقى بالآخر.

- ما بالك... هذا هو فرهاد... فرهاد خوشناو الذي تسأل عنه...

ولم تكذب اذناه تلتقطان الاسم، حتى وجد فرهاد نفسه بين ذراعي الرجل، يطوقانه، يغمره بالقبل، بحنان وشوق اب عثر على ابنه بعد طول بأس.

- فرهاد... اذن انت فرهاد... اه... دعني اشم فيك رائحة ابيك.

واختض فرهاد

- أبي؟ هل جرى له شيء؟

واسرع الرجل ينفني تصورات فرهاد...

- لا، لا... ابدأ... ان اباك يا حبيبي... عظيم... عظيم وحق امير المؤمنين...

واخلي لهما بعض المعتقلين مكاناً، اذ احسوا ان لدى الرجل ما يفضي به الى فرهاد...

كنت معه... مع ابيك فوق جبل «ناسوس» ضمن المجموعة التي تعسكر هناك، نتجاذب اطراف الاحاديث... ونحتسي... الشاي... شاي «الدشلمة»... اتعرف هذا النوع من الشاي؟ ها ها ها... ما علينا... قلت كنا نحتسي الشاي حين قال ابوك فجأة:

- اتدري أيها الحلاوي... ان ابني معتقل في بلدتك؟

شعرت، ولا اخفي عليك، يخجل منه، وحقد على بلدتي:

قلت بمرارة

- لم تعد بلدتي...

غضب ابوك.

- لا... يا حلاوي... لا... كل بقعة... كل شبر من الوطن... لنا... ملكنا...

ولن تجعلنا الظروف مهما قست ان نتخلى عن شيء منه...

زاد احساسني بالحنين... هذا الرجل يتعامل مع الوطن كما يتعامل الانسان مع اعضاء جسمه... هذا الجزء عيناه وذاك قلبه... والاخر عقله...

يا له من رجل... المهم... انت اعرف به مني قطعاً... لا اطيل عليك... بعدها بأيام كلفت بمهمة خاصة في كركوك. دخلت المدينة مع اشراقة الفجر... انجزت المهمة... وبدلاً من ان اختفي منتظراً هبوط الليل حتى اعود الى موقعي. لا ادري لماذا قطع عقلي السخيف ان التحول في المدينة. قلت يا جواد معك شيء من النقود... والجماعة هناك بحاجة الى السجائر... بحاجة الى الجواريب... فلماذا ترجع اليهم خالي الوفاض...

وانا التحول... احسست بان احد الجواسيس يتعقبني يبدو انه قد تعرف علي... حاولت ان اتخلص منه فلم استطع... الكلب... لقد استحال ظلاً لي... اينما... اذهب هو معي... قلت في نفسي من باب العزاء... المهم قد انجزت مهمتي... ليفعل بي ما يشاء، فقط ينبغي ان احذر من ان يتعرف على طريق مواصلاتنا... ذلك هو ما كان يريدني ان ادله عليه. ولهذا لم يعتقلني اول ما... رأي... وانما ظل يتعقبني على ذلك النحو الذي ذكرت... جلست في مقهى في سوق القورية، جاء وجلس بجاني... قلت ليجلس ماذا اريد منه... طلبت... زجاجة بيسي كولا... ولكنه، لم يدعني اذوقها... اذ احسست بفوهة مسدسه تنغرز في يساري... قال لي:

- ستأتي معي، وبلا كلمة واحدة، يا سيد جواد عبد الامير الحلاوي...

قلت:

- من تقصد... انت غلطان... انا لا اعرفك.

- ولكنني... اعرفك... اعرفك جيداً... وهذا هو المهم... ثم أشار الى اثنين اخرين، كانا يلعبان «الدمينو» وهكذا قادني ثلاثتهم الى مركز للشرطة... وتم تسفيرني في اليوم التالي الى الحلة، بحجة ان ثمة اعترافات علي هنا... ثم اضاف:

- ومع ان ما يواجهني هنا قد يكون قاسياً جداً، فاني وجدت بعض العزاء في تسفيرني الى الحلة بالذات...

لاني سالتقي بابن باران... باران خوشناو...

تردد فرهاد... في اظهار عواطفه، على حقيقتها، نحوه... اذ لم يستطع ان يتجاوز تلك الحالة من الشك وانعدام... الثقة، التي تزرعها الظروف السياسية القاسية التي تمر بها البلاد... ولا سيما ازاء قادم جديد مجهول يحمل معلومات كبيرة، ودقيقة، بسبب المندسين والساقطين.....

ولعل جواد نفسه ادرك ذلك بصورة ما... ربما من صمته، بينما كان يتوقع اسئلة اخرى عن ابيه... عن الجماعة هناك... فاخذ يتبسط معه في الحديث لعله يكسب... ثقته خلال ثقة ابيه به...

- لك اخ... اسمه دلشاد...

- اجل

- احسست ان اباك لا يميل اليه كثيراً أنت وحدك موضع ثقته وفخره... واعتماده عليك...

ثم سأله فجأة:

- كيف داليا.؟

ودهش فرهاد:

- داليا.؟ اتعرفها هي الاخرى؟

- هو حدثني عنها... وعن اخيها... وعن ابيها العظيم واستشهاده بذلك الشكل البطولي، ورسالته المقتضية اليها... واشياء كثيرة... عن علاقتكما...

- يبدو انك تعرف عنها اكثر مما اعرف... فانا... اذن علي ان اسألك ماذا حل بها اين هي الآن؟

- لا ادري بالضبط... ابوك ايضاً لا يدري، بعض العوائل هاجرت الى منطقة «شيوه سور» اتخذت من الكهوف على طرفي الوادي مساكن

لها، هرباً من الملاحقات. والقتل اليومي والقصف المستمر وقد تكون ضمن تلك العوائل...

- من يدري...؟ ربما... حتى اخوها... انقطعت اخباره عنى...

- اخوها عزيز...

- اجل... اعتقل قبل اعتقالي بيوم واحد... ولا ادري الآن اي سجن يطبق عليه...

- سنلتقي كلنا ذات يوم. سيجمع الزمن شملنا... لا بد ان يجمعنا... ونحن اقوى مما نحن الآن... واكثر عدداً.

- انت متعب... ساتركك تنام... هل تستطع ان تنام... وانت جالس...

- انام حتى وانا واقف ما دامت ثمة ضرورة...

وتعانقا بحرارة... وفي اليوم نفسه أخذوه لم يدر الى اين... لم يلتق به. الا بعد سنين... سنين عديدة... تبدلت خلالها اشياء كثيرة...

\*\*\*

وتحسس فرهاد الورقة الصغيرة بين اصابعه باعتزاز... وتعاضمت ثقته بجواد...

- ما هذا؟... ألم تغسل فمك بعد الاكل.؟

سألته امه وهي تشم فاه:

- غسلت.

قالت بتأنيب:

- لا تكذب.

أصر الطفل:

- غسلت... والله غسلت.

فشمته داليا فاه ثانية، هي تعدل ياقة قميصه الابيض الذي البسته

لتوها وقالت:

- اي غسل هذا؟. رائحة اللبن تفوح من فمك.

وإذ ذاك كف ناسو عن اصراره، وسد فاه، بينما استمرت امه:

- والآن هيا... هيا... اغسل فاك... اغسله جيداً...

وراحت تدس ملابس الطفل التي نزعها في الحقيبة الجلدية السوداء

التي انتفخت، بالرغم من حرصها الشديد على الابقاء عليها خفيفة.

اخذ ناسو ينزل درجات السلم بمرح وخفة، بشرواله الفضفاض وقميصه

الابيض النظيف الذي بدا متهدلاً بعض الشيء، بعد خروجه من

المستشفى، وحزامه القماشي المزركشي العريض، يتهادى.

نسى ناسو نصيحة امه بغسل فيه، او تكاسل عن تنفيذها حين ابصر

«ناسوس» قابعاً اسفل القفص بخمول تام، خيل اليه انه قد مات، ولكنه

اذ اخذ يقترب منه باضطراب، انتصب الطائر واقفاً وهم ان يسير بضع

خطوات، قبل أن يطلق جناحيه، على عاداته. الا انه اصطدم بجدار

القفص، فقبع في مكانه، ينظر الى ناسو بحذر وترقب ابتسم ناسو... وهو

يقول:

- الآن... الآن يا ناسوس... لا بد ان اجد لك شيئاً...

وهجم على الثلاجة، ينقب في داخلها بدقة، ابصر خلال شقوق الرف

العلوي، كيساً من الورق الاسمر منتفخاً:

- اذن فانت الحيار... ها... تخفي نفسك هناك يا ملعون... صبراً...

صبراً... انا اعرف كيف انزلك.

استند على اصابع رجليه، ورفع قامته القصيرة عالياً، ولكن يده...

قصرت عن تناوله...

- اوه...

لم يطل به التفكير كثيراً، اذ سرعان ما خرج من فترة صمته القصيرة

بفكرة... تحرك على التو، لتنفيذها.

- احسن شئ اصعد فوق الكرسي.

ولكنه اذ حرك الكرسي الخشبي، وجده ثقيلاً، فعجز عن حمله... لم

يبأس اجال نظره في ارجاء المطبخ لعله يعثر على شئ اخف حملاً، ولما لم

يعثر على بغيته عاد الى الكرسي ثانية، وراح يدفعه نحو الثلاجة دفعاً.

وبالرغم من الصوت العالي المزعج الذي اخذ يصدر من الكرسي وهو

يسحله فوق بلاطات الارض، وبالرغم من يقينه ان امه ستنتبه اليه

فعلته، وسيكون حسابها معه قاسياً جداً. فانه لم يبال... لقد تعمق عنده

احساس باللامبالاة، ازاء كل ما يمكن ان يجري له:

«ناسوس جوعان... هل ادعه يموت..»

وظل يدفع الكرسي تارة... ويجره اخر... حتى جعله لصق الثلاجة

تماماً... وحين حاول فتح باب الثلاجة مجدداً، وجد ان الكرسي يعيقه مما

اضطره أن يدفع الكرسي مرة اخرى بعيداً عن الثلاجة، مسافة تكفي

لحركة الباب. آنذاك فقد استطاع ان يفتح بابها... وتركه... مفتوحاً... فظل

الهواء البارد المنبعث من جوف الثلاجة يغمره، ويدخل فتحات قميصه،

وقبل ان يبصرها، او تنتهياً له القدرة على النهوض بسبب الامه قال رداً. على الصوت الذي امتزج باصوات الارجل.

- ماذا حدث؟... ماذا فعلت يا ناسو؟

- ماما... العبيج... يموت.

وفعلاً كانت امه منتصبه امامه والشر يتطاير من عينيها:

- موتات... يا كلب... انظر ماذا فعلت... كنت ستقلب الثلاجة فوق رأسك.

واذ راها تهجم عليه وانطلق خياله يصور له بسرعة فائقة صنوف الضرب التي لايد ان توقعها عليه... اطلق ساقيه، غير مبال بكل الامه... التي احدثتها فيه السقطة.

حاولت داليا ان تمسك به ولكنها عجزت، فصرخت به:

- تعال... تعال... ابوك سيرجع الآن...

- لا... لا...

وركضت الام خلفه، وأخفقت مرة أخرى في الامسك به، ففلت الطفل كعصفور تطارده قطة جائعة... واذا اخفقت الام عن اللحاق به تذكرت محتويات الثلاجة، المتناثرة على الارض، فعادت تلمها وهي تدمدم:

- ما كان ينقصنا الا هذا؟

واضافت بألم:

- اي يوم أسود... هذا اليوم!

وفكرت... لو... لو عاد فرهاد... ولم يجده.

آه...

وارتعبت من الفكرة... يا الهي...

- لايد... ان اجده... اين ذهب الملعون؟

وانتصبت واقفة، تاركة بعض قطع اللحم والخيار والقرع والبادنجان...

فاحس بلذة خاصة. سحب الكرسي نحو الثلاجة ثانية ولكن باب الثلاجة الا الى منتصف مجاله الحركي، بسبب الحائط المائل بجانبه، لم يدعه يقرب الكرسي كثيراً... لم يبالي اذ تصور المسافة كافية، وانه قد بات بوسعه أن «ينوش» الرف الاعلى.

صعد الكرسي، مد جسمه داخل الثلاجة، الا ان يده قصرت عن الرف ثانية، مما جعله ان يحمل جسمه فوق اصابع قدميه مرة اخرى، ويقترّب اكثر من حافة الكرسي، ولمست اطراف انامله حافة الرف الاعلى... استند عليه، بيده اليسرى... بينما راح يمد اليمنى نحو الكيس الورقي محاولاً الامسك به.

- تعال... تعال... اقول لك تعال... ناسوس جوعان... تعال حتى يأكلك...

ولكن الكيس ظل جامداً في مكانه، يرفض الانصياع لأوامره. مما اضطر ان يحاول هو المزيد من الاقتراب نحوه، الا... ان مسافة ما، بالرغم من كل محاولاته، ظلت قائمة، لا تتبدل... مع كل ما يبذله من محاولات. تصور ان حركة سريعة من يده اليمنى... أشبه بقفزة القطة حين تخطف فأرة، يكون بوسعها تجاوز تلك المسافة العنيدة...

الا انه لم يكد، ينفذ فكرته، ويمد يده لخطف الكيس، حتى انزلقت قدمه من فوق الكرسي... وتراجع الكرسي الى الخلف... وسقط على الارض، محدثاً دويماً كبيراً... فامسك هو بكلتا يديه بالرف، ولكن الرف كان أضعف من ان يتحمل ثقل جسمه معه... تكوم على نفسه أسفل الثلاجة... وقد تناثرت فوق رأسه محتويات الرف.

أحس بألم ينبثق من جنبه اليسر، ومن رأسه الذي سقط الرف بمحتوياته فوقه. ولكنه لم يصرخ... لم يستطع أن يصرخ، اذ لم تكد أصوات تساقط محتويات الثلاجة الصاخبة تهداً في اذنيه حتى أمتلأتا باصوات أرجل اكثر صخباً، تطوى السلم... «ماما»

توقفت سيارة بيضاء طويلة على مقربة من فرهاد، تتبعها سيارة جواد، المتهدمة، على حد تعبيره.

صاح جواد وهو ينزل من سيارته:

- ألم اقل... ساخلك لك السيارة خلقاً...

قال فرهاد بامتنان بالغ:

- آه... أبو كاظم... انا عاجز عن الشكر...

لم يرتح أبو جواد:

- عيب... كاك... عيب، تشكرني على ماذا... انسييت مقام الوالد عندي.

وتوجه اثره بالحديث الى السائق، الذي ظل خلف مقود سيارته يدخن، بلا ميالة:

- أبو حيدر... دقيقة واحدة... ريثما ادخل السيارة الى الكراج.

وتحرك مباشرة بعد ذلك، نحو سيارته.

سأل فرهاد الرجل الذي دعاه جواد. به «أبو حيدر».

- لماذا يترك سيارته... في الكراج؟

- لا تتحمل سيارته طريق اربيل... وسيركب معنا.

- معنا؟...

وهرع إلى جواد. امسك بكلتا يديه وهو خلف المقود.

- ما الذي تفعله يا ابو كاظم؟

- كاك... ارجوك... ابوك منح... حياتي معناها الحقيقي... لا بد ان اراه... قبلما... قبل ان...

واغروقت عيناه بالدموع:

مفروشة على الارض، واكتفت باغلاق باب الثلاجة، واندفعت خارجة بسرعة... الا ان ذيل ثوبها الطويل تعلق بالقفص، فاحتدت اكثر، ورفسته بعنف...

- كل ذلك بسببك... بسببك...

فتدحرج القفص المدور على نفسه وتقلب الطائر خلاله على اوضاع مختلفة، ولم يستقر الا حين استقر القفص على وضع ما.

اطلت برأسها من الباب الخارجي... لم تجد له أثراً... واخذت تفرك يديها بانفعال.

- اين ذهب... اي باب اطرق؟... لماذا هجمت عليه؟. ماذا اقول لفرهاد اذ يعود ولا يجده...؟ اللهم عونك...

وتساءلت في نفسها

- لعله في بيت حسين؟ لا أحسب انه يذهب بعيداً...

واذ همت ان تتوجه اليه. أبصرت ليلي ابنة جارهم جالسة على عتبة بابهم، تلعب، مع بعض الصبية:

- ليلي... ليلي...

- ها... خالة...

ومثلت الصبية أمامها مباشرة...

- عيني... ليلي... ناسؤ... هرب من البيت...

وقاطعته:

- رأيته... يدخل بيت حسين...

- آتيني به... يا بنتي... آتيني به... يا عيني...

- اي خالة... الآن...

- امسكي به جيداً... لا تدعيه يفلت منك.

- حسناً خالة... حسناً.

- عزيزي... ابو كاظم... نحن نرحب، بالتأكيد، بوجودك معنا من اعماقنا... ولكن لا تنس أن ذلك يعطلك عن عملك اياماً عديدة... وذلك ما لا يمكن ان وافق عليه... أبدا... بالاضافة إلى أنه...

وقاطعه جواد بدهشة:

- كاكا... ماذا دهاك... كيف تتكلم؟

ارتبك فرهاد... ولكنه كان مصرا على موقفه...

- لا أدري كيف اتكلم... ويبدو اني فعلاً لا استطيع ان اوضح لك ما أريد ان أقول على النحو الذي ينبغي... ولكن لا يمكن ان وافق على مجيئك معنا... ارجوك...

- ابو ناسو...

وبرقت في ذهن فرهاد، الورقة التي اعدّها، والتي... اخفاها في جيبيه حين بدأت كفه تعرق... وقد كاد ينساها.

قال له بصوت خافت:

- ثمة مهمة... يا ابو كاظم... اريد ان تؤديها لي...

واضاف:

- لا يمكن أن يؤديها سواك.

- ماهي؟

قالها بلا بحماس... إذ بدا له ان فرهاد يختلقها لكي يشغله، ويجنبه مشاق الطريق تعطيل «رزقه» بضعة ايام...

ولكن لا... يا فرهاد... لا شيء يمنعني من حضور الساعات الاخيرة من حياة باران خوشناو... وإذا رفضت مجيئي معكم... فسأتي بسيارتي وليحدث ما يحدث...

وقبل ان يفضي اليه فرهاد بالمهمة، اخذ يتلفت ذات اليمين واليسار...

ثم قال بما يشبه الهمس:

- أنت تعرف... كريم... أليس كذلك...

- كريم؟... أي كريم؟.

وبدا له الاسم، مجردا على هذا النحو، مجهولاً عنده، ذكره بحالات سابقة... إذن... فثمة مهمة حقيقية يروم فرهاد... تكليفه بادائها...

وتلاشت على الفور شكوكه حين لمع ذهنه فجأة:

- أ... كريم... كريم البغدادي... أعرفه... ابو ناسو... أعرفه...

فأحس فرهاد براحة:

- عال... عال... تذهب إليه في الهندية... تسأل عنه صاحب مقهى «السلام»... تقول ارسلني ابو ناسو...

- حسناً... حسناً.

وكان جواد... يزداد احساسه بأهمية المهمة، تدريجياً... حتى انه خرج من سيارته مباشرة... واتكأ بظهره عليها... وراح يستمع إلى فرهاد باهتمام يمتزج بحب، يتصاعد... يتصاعد باستمرار.

خيل إليه... انه يستمع إلى باران نفسه؛ ملامح متقاربة عينان حادثان، ذكيتان، تمنان عن المرأة... ثمة بروز في انف كل منهما... في منتصفه. يجعله يبدو كأنف كيش... ابى. شفتان رقيقتان يعلوهما شاربان دقيقان... شاربا أبيه... أكثر كثافة... وأكثر سواداً...

بينما شاربا الابن يسدوان بلون الكستناء... مع شعيرات شقراء تتخللها... كما أن شعر رأسه... تتناثر فيه الشعرات البيضاء أكثر من أبيه... الأبناء يهرمون قبل الآباء... يا له من زمن غريب... خاصة أن فرهاد أطول بعض الشيء... ونحيف... بالقياس إلى أبيه... الذي هو ربع... أكثر متانة ولكن ثمة شيء في طريقة حديث كل منهما... يكاد يكون

واحداً... هو تلك الثقة العالية بالنفس، التي تعبر عن نفسها في حركة الشفتين في الكلمات الخارجة منهما بوضوح. وفي ذلك الاهتمام والجدية في التعامل... وأخيراً... في ذلك الاصرار على الموقف الذي يريانه صائباً..... يالكما من رجلين... تسعد المرء معرفته بكما...  
- وإذ تجد كريم تسلمه هذه الورقة.

وناوله الورقة بشكل يوحي انه مجرد مصافحة عادية... وهو يضيف:  
- وإذا... اذا صادف... ولم تجده... في اسوأ الاحتمالات... أسرع جواد يقاطعه:

- احتفظ بها حين اجد...

لم يوافق فرهاد.

- لا... لا... تمزقها...

فانتكس جواد... وسأل بقلق:

- أمزقها؟... لماذا؟...

اجاب فرهاد:

- أخشى... ان...

فقال جواد بثقة:

- لا... لا تخشى شيئاً... أعرف كيف أخفيها...

فرهاد مداعباً:

- وإذا تعقبك واحد منهم... كما حدث في كركوك قبل اعوام...

- لا... لا... اطمئن... لم اعد صغيراً.

وإذ وجد فرهاد بالنسبة اليه، ما يزال صغيراً جداً أسرع يصحح:

- اقصد... طول العمل يكسب الانسان خبرة... استاذ.

- إذن تصرف... على النحو الذي تراه مناسباً... اذا اضطررت إلى

التخلص منها... افعل... فقط... عليك ان تخبره بسبب سفري المفاجئ...

- صار... ابو ناسؤ... على العين والرأس...

- تسلم... يا ابو كاظم...

واحتضن احدهما الآخر يود...

- أرجوك أن تقبل الوالد بالنيابة عني... قبله كثيراً... قل هذا بالنيابة

عن الحلاوي...

- بالتأكيد... ابو كاظم، بالتأكيد، اطمئن.

ثم توجه ابو كاظم بالحديث إلى السائق الآخر:

- ابو حيدر... عيوني... الاستاذ... اخونا... ها؟...

ابتسم ابو حيدر، فكشف عن اسنان قوية، تلاعب الدخان، بلونها

الطبيعي، دون ان يؤثر على بنيتها.

- اتعرفني بالاستاذ؟... انه اكثر من اخ...

آنذاك تفرس فرهاد في وجه السائق، لم يسبق له أن رآه... ولا تعرف

عليه، ولكن ماذا يعني، فهو منذ حل في الحلة، أحس بان كل الناس،

يعرفونه، ويعرفون زوجته... وحتى ناسؤ... ويكون لهم التسقدير

والاحترام... والحب أيضاً... ولعل تلك عاداتهم مع الغريب... ولكن أهي

كذلك مع كل غريب... كائناً من كان؟

مالك وهذه المعادلات!! الرجل يعلن باعتزاز معرفته بك، واذا كنت لا

تعرفه حتى الآن... فهذا هو امامك... حاول أن تعرفه... وصادقه... الا

يكفيك انه احد اصدقاء جواد... وربما تكون العلاقة بينهما اعمق من

مجرد صداقة سائق لسائق... او حتى... قريب لقريب... ابتسم له فرهاد

شاكراً... واتخذ مقعده جنبه، بينما... انطلق جواد بسيارته، وهو يلوح

له... وفرح مشوب باعتزاز يحركه... من الداخل.

بادره فرهاد...

- ابو حيدر... لا صغيراً بك... لا اذكر اني تشرفت بمعرفتكم.

ابتسم ابو حيدر... واكتفى ان قال:

- احياناً... اعمل على خط الهندية...

ابتسم فرهاد. اذن هنا المسألة...

- صاحب مقهى «السلام» الذي تجلس فيه، هو ابن خالي...

- آ...

ثم سأله ابو حيدر:

- استاذ اصحيح ان الطريق يغلق بعد الخامسة.

- طريق العودة فقط... ويسمح بدخول السيارات الى اربيل حتى

السابعة و احياناً اكثر...

اجاب فرهاد قلقاً بسبب سؤاله ذاك... ترى ما قصده... ايمكن ان يرفض هو الآخر... ويقول له ببساطة:

- آسف... استاذ... آسف... لست صاروخاً.

و فعلاً لمح تجهماً في وجه ابي حيدر... مما اثار عنده... مخاوف عديدة... ولكي يتأكد منها سأله...

- وهل يهمك الامر؟

احس بانه سأله سؤالاً غيبياً... ما كان ينبغي له ان يفعل... طبعاً يهمه... والا لماذا يسألك.

- طبعاً يهمني.

واستغرب من التواصل الفكري العفوي بينهما... حتى في الصياغة.

وسأله السائق:

- كم الساعة الآن...؟

والقى فرهاد نظرة على ساعته اليدوية:

- الحادية عشرة والرابع...

هز ابو حيدر رأسه... مفكراً

- اذن سأبات الليلة في اربيل.

- تنام عندنا... ابو حيدر... بيتي بيتك.

- اشكرك جداً استاذ.

قال ذلك، وأخرج سيجارة يقدمها له... ثم اضاف مبتسماً:

- انا... بيتي هنا...

وضرب بضع ضربات على مقود سيارته، باعتزاز. بعد ان امسك بسيجارته بين شفتيه.

- ابدأ... يا ابو حيدر... لا يمكن ان ادعك تنام في سيارتك.

ونفخ ابو حيدر من سيجارته دخاناً كثيفاً، سرعان ما لاشاه، تيار الهواء المتدفق. قبل ان يقول بصوت هادئ...

- ليست هي المرة الاولى... ولن تكون الاخيرة...

- حين يضطر المرء... ينام اينما كان... ولكن اذ يتوفر له... مكان النوم الطبيعي، لا ارى اي موجب...

وقاطعه ابو حيدر برفق... وأدب:

- أتدري ماذا افعل... اول ما أتنفّس هواء اربيل. واشم رائحة تراب اربيل.؟

سكت هنيهة. بانتظار أن يسأله فرهاد... واذا استبسطاً سؤاله... اجاب هو... بصوت حالم:

- ابحت عن اصدقائي... واحداً... واحداً...

ووجد فرهاد نفسه يسأله:

- اذن فلك اصدقاء في اربيل...

- كثيراً...  
ثم اضافة:  
- وهم طيبون مثل وجهك.  
وسعل سعلة خفيفة.  
- ولكن يا ترى... هل اجدهم؟  
وراح في تفكير عميق...  
- اربيل مدينة صغيرة... والكل يكاد يعرف الكل... على اية حال لن  
يضيع أحد... من يسأل يهتد...  
هز ابو حيدر رأسه...  
- صحيح... ما تقوله صحيح... ولكن بيني وبينهم ثلاثون سنة...  
ثلاثون سنة... والثلاثون سنة... تصنع العجائب... تقضي على ناس...  
وتخلق آخرين، تهدم... تبني... تخرب... تعمر... من يدري؟  
وقاطعه فرهاد:  
- عندك... ابو حيدر... عندك... لقد وصلنا...  
ابتسم ابو حيدر وكشف مرة اخرى عن اسنانه الشاحبة القوية...  
- اعرف... استاذ... اعرف... تفضل...  
نزل فرهاد من السيارة مسرعاً... حتى انه لم يغلق بابها خلفه... مما  
حمل ابو حيدر ان يمدد جذعه فوق المقعد الاخر... ويسحب الباب...  
« مستعجل... حقه... »  
حين وجد فرهاد الباب مغلقاً مد يده الى جيوبه يبحث عن المفتاح، واذ  
لم يعثر عليه... اخذ يضرب الباب بجمع... يديه...  
- داليا... داليا...  
وجاء الجواب سريعاً...

- حالاً... فرهاد... حالاً.  
واذ تواجه معها قال:  
- هيا... هيا... داليا... اين ناسو...؟  
- هرب...  
- اهذا وقت مناسب للمزاح...  
- اي مزاح... يا فرهاد... لقد هرب... والله هرب.  
- هرب؟. ما الذي تقولين؟. اين هرب؟. اين هو الآن...؟  
- ها هي... ليلى...  
وتركت داليا زوجها... وتوجهت نحو الصبية...  
- ها... عيوني... ليلى...  
- خالة... ناسو عاصي... بيت حسين... ما يقبل...  
وانفجر فرهاد:  
- بيت حسين... ماذا يفعل هناك. كيف تركته يذهب... اذهبي...  
اليه بنفسك... يا داليا...  
- على مهلك... على مهلك... البيت على طريقنا... خذ الحقيبة...  
- وناسو... يا امرأة... ناسو؟  
- نأخذه من الطريق... ماذا دهاك؟  
وسحبت خلفها الباب  
- لقد تأخرنا يا داليا... تأخرنا كثيراً.

قال فرهاد، حين تحركت بهم السيارة، مؤنباً ابنه:

- كيف تشاكس امك يا ناسو؟...

اجاب الطفل بصوت باك:

- هي... هي... ضريتني.

وانبرت الأم تدافع عن نفسها...

- حرام... اذا لمست يدي.

وقال ناسو، بعناد:

- لأنني هربت...

ورفع عينيه الى ابيه، ولمح الأب بوضوح آثار دموع تيبست حولهما...

وقال شاكياً:

- والله، بابا، لو لم اهرب... لقتلتني من الضرب.

فقال الأب محاولاً حسم الخصومة التي لم يجد أي مبرر لها حتى الآن:

- والآن كفى... يا ناسو... كفى... يا ولدي... يجب أن تكون عاقلاً حتى

تحبك امك... وأنا... والجميع...

أصر الطفل:

- أنا لم افعل شيئاً... هي... هي...

- لا... ابدأ... مسكين... لم يفعل شيئاً... هل اقول لبابا... ماذا فعلت...

وصمت الطفل... والتصق بالزاوية اليمنى من السيارة حيث كان جالساً

على المقعد الخلفي، مع امه يتطلع عبر الزجاج... الى العالم المتبدل خارج

السيارة... بسرعة خاطفة.

قال الأب:

- حتماً... أتيت واحداً من أعمالك الشيطانية... يا ناسو...

- لقد أوشك ان يقلب الثلاثجة على رأسه.

والتفت اليه ابوه الذي كان جالساً في المقعد الامامي جنب السائق،  
بحدة، مستفظعاً فعلته...

- الثلاثجة؟... لم يبق شئ تلعب به الا الثلاثجة.

وتطوع السائق الذي وجد نفسه، طيلة الوقت، شبه مهممل... بالمشاركة  
في الحديث.

- الولد العاقل... لا يلعب بالثلاثجة.

قال ناسو... مصححاً خطأ السائق في الحديث:

- لم اكن العب... كنت ابحث عن اكل ل(ناسوس)...

وتساءل السائق بدهشة:

- ناسوس؟

وتصور الاسم لطفل... او طفلة، تركوه في البيت، لسبب ما، فتوجه  
بالسؤال الى فرهاد:

- من ناسوس هذا...؟

ابتسم فرهاد... اذ ادرك سبب دهشة السائق.

قال:

- ناسوس... طير... يا ابو حيدر... طير...

لم يقل اي طير هو... اذ شك ان يكون ابو حيدر يحمل اية فكرة عن  
«القبج».

زادت دهشة الرجل:

- طير...؟

وكرر:

- طير؟...

والثفت بغتة إلى ناسو، حتى كاد يصعد رصيف الشارع بسبب ارتخاء قبضته على المقود.

- اتطعم الطير من الثلاجة...

اهمل ناسو... سؤاله... إذ امتلاً ذهنه فجأة بالحالة التي ترك فيها ناسوس...

- بابا... بقى ناسوس... بلا أكل...

وأنتابت السائق روح مفاجئة من المرح:

- سنشتري له قوزي على تمن... ها ها ها... هـ

وأطلق ضحكة عالية... لم يلبث أن خنقها من منتصفها إذ أدرك أنه قد ارتكب حماقة ما... غير مناسبة تماماً... فقد تذكر ان جواد قد أخبره... ان والد الاستاذ... مريض جداً... وأن حالته سيئة للغاية... وقد يموت قبل أن يلحقوا به... فلحس آثار ضحكته، إذ لم يسمع لها أي صدى حتى عند الطفل، وندم على فعلته...

وظل لفترة يعاني من الأحساس بالندم...

«سهوت... سهوت... لم أكن أقصد سوءاً».

ولم يشأ فرهاد ان يكون قاسياً معه، فلم يعلق بشيء وحتى النظرة المتجهمة التي كانت قد تكونت في عينيه أبدلها بنظرة أخرى... وجهها إلى أبنه... نظرة تقريع وتأنيب، كأنه يعتبره المسؤول عن كل ماحدث... فنكس الطفل رأسه وقال كما لو كان يخاطب نفسه:

- سيموت... والله... يموت...

قالها بحرقة وألم شديدين... أثارا عطف الأب.

فقال له برقة:

- ألم أقل لك... اطعمه قطعة خيار...

ولم يكد الطفل يفتح فاه ويقول:

- أمي...

حتى هبت داليا في وجهه، تقاطعه، قبل ان تعرف ما الذي ينوي الطفل قوله:

- امك... امك... الا تقول لي ما الذي فعلته بك امك...

قالتها بغضب شديد... كما لو كانت تحاسب رجلاً كبيراً... نظر اليها فرهاد نظرة لوم:

- داليا...

ولم يزد...

كظمت داليا غضبها... وهمت ان تقول شيئاً ولكنها اندفعت، فجأة، إلى الامام، بعنف... على اثر ضغط السائق على الفرامل بشدة:

- كأنه يوم الحشر...

قالها السائق، وهو يرنو إلى الجموع التي تتدفق من بوابة السجن وتسيل نهراً بشرياً متلاطماً، على الشارع، وعلى الارصفة يحشر نفسه في عربات، أو سيارات... أو يواصل مسجراه فوق الاسفلت الملتهب... وتحت سياط النار.

آمن فرهاد على قوله:

- لم أر زحمة كزحام هذا اليوم.

قالت داليا:

- كل مرة... نفس الزحام...

صدق السائق قولها:

- المسألة طبيعية جداً...

وتساءل فرهاد :

- طبيعية؟

أجاب:

- طبعاً... إذا كانت الحكومة تضع نصف الشعب في السجن... قطعاً...  
يأتي النصف الآخر للمواجهة... وهكذا يلتئم نصف الشعب، الشعب  
العراقي المسكين باجمعه، في سجن الحلة وفي يوم واحد.  
ابتسم فرهاد... إعجاباً بحديثه.

- فعلاً... يبدو ان هذا السجن المشؤوم قد غدا مزار الجميع.

راحت داليا... تتحسس النجمة الذهبية المضلعة الصغيرة المتدلّية بين  
نهديهما... التي التصقت بلحمها بسبب العرق الغزير الذي راح يتصبب  
منها... بعد توقف السيارة.

وضعتها فوق ثوبها... وقالت:

- ان تاريخاً أسود، مليئاً بالكراهية والحقد... تخطه هذه القلعة  
الخرساء... في نفس كل فرد منا.

التفت نحوها السائق الذي كان قد اقلع كلياً عن محاولاته اللا مجدّية  
في النفاذ بسيارته عبر الفراغات المؤقتة التي كانت تخلقها تحولات  
الأمواج البشرية بعد ان تأكد ان عمر ايّ منها لا يتجاوز ثانية واحدة ولا  
يتوسع الا بضعة اشبار.

- قطعاً زرتهم... هذا السجن.

اجاب فرهاد مبتسماً:

- ألسنا من الشعب العراقي.؟

وأسرع السائق يقول معتذراً:

- حق... والله حق... انما... انما... قلت لعلكم من النصف الثاني... أقصد  
النصف الزائر.

قال فرهاد وهو يزفر من شدة الحر:

- لقد تبادلنا المواقع مراراً.

- الله اكبر!!

صرخ السائق:

- اني اتساءل جاداً... ترى هل ثمة من لم يدخل هذا السجن الأسود...

قالت داليا:

- يمكن استثناء الانتهازيين والمتلونين.

قال فرهاد:

- هؤلاء... غير واردين في حسابنا... هؤلاء أعداء الشعب.

ثم قال وهو يقدم سيجارة إلى «ابو حيدر».

- يا سيدي دخلت هذا السجن وعمري سبع سنوات.

وصرخ السائق ثانية، وانامله تهتز بعود الكبريت:

- الله... اكبر... سبع سنوات فقط...؟ هل يسجنون الاطفال هنا أيضاً؟

وأسرع فرهاد يصحح ما ألتبس على السائق:

- لم أكن سجيناً. كنت زائراً. كنت من النصف الثاني آنذاك.

- زائراً؟.

- ابي. كان مسجوناً. ثم نقلوه إلى سجن «نقرة السلطان».

واضافت داليا بألم:

- نقلوه... ليلقوا فيه هذه المرة بأبي.

- ابوك؟ انت الاخرى؟ الله اكبر.

بدا عليها كما لو انها تسترجع حلماً قديماً... طرياً رغم قدمه.

- ابقوا عليه ثلاث سنوات... ثم سلمونا... اياه جثة.

اكتب اليكما لانكما... علامة مستقبلنا المضيء... المضيء بالرغم من كل شئ...

اليوم وفي تمام الرابعة صباحاً ايقظوني... ليخبروني بانهم قد قرروا شنقي في الساعة السادسة...

« لا ترتعبا... ولا تسفحا الدموع... اسمعاني فقط. »

سألوني: أتريد شيئاً...؟ قلت أريد قلمماً وورقة... حمراء... قالوا: حمراء... ايضاً؟ قلت: تلك رغبتني رغبة انسان يشنق ما ضرركم لو حققتموها...

ابنتي: انت الآن صغيرة، وليس بوسعك ان تدركي لماذا يشنقون اباك... ولكنك إذ تكبرين ارجو ان تعرفي شيئاً واحداً فقط؛ ان اباك يموت في سبيل حرية وطنه...

وسعادة شعبه...

ولدي الحبيبين: ضعاً كل ثقتكما في عمكما «ابو فرهاد»...

سيكون في مقامي بالنسبة اليكما... بالضبط.

داليا:

لا تحزني من اجلي اكثر مما ينبغي، صحيح اني حزين وآسف لاشياء كثيرة لم يسعفني العمر أن احققها... ولكنني لست نادماً على شئ، ولو تسنى لي ان اعود الى الحياة ثانية لسلكت نفس الطريق الذي قادني الى الشنق ليس، بالتأكيد، حباً بالشنق، ولكن حباً للطريق، واصراراً على التفاني في سبيله... والوصول به الى اهدافه الكبرى. وبالنسبة لكما، انت واخيك. فاختاراً ما تريانه صائباً... اكون سعيداً جداً لو اخترتما طريق ابيكما. شرط ان يكون اختياركما عن قناعة واعية، كما هو الامر معي... بانه وحده، طريق الانسان.

وداعاً ولدي الحبيبين... كونا رؤمين بامكما... اني... اكتب لها ورقة

- جثة...!!

وارتبك السائق وانفعل كثيراً:

- الف... الف... رحمة على روحه.

ثم اضاف بحقد:

- وحوش... كلهم وحوش... لم يتركوا عائلة واحدة لم يحرقوا فؤادها... الله يساعد هذا الشعب المبتلى بهم...

- حتى الوحوش اراف باعدائها منهم.

قالت داليا... وهي تجز على اسنانها...

كان فرهاد قد انساق وراء أفكاره حول العم الياس العظيم... وراح يفكر به ويتلك الصداقة الكبيرة التي ربطت بينه وبين أبيه، وبذلك الحب الذي كان يغمره به بشكل خاص...

بينما كانت داليا... تسمح بقدسية واجلال... على النجمة الذهبية ذات الاضلاع الخمسة... المتدللية... فوق ثوبها... وتتحسسها... بحنو...

همت أن تفتحها... وأن تتلمسها... وربما للمرة المليون، تلك السطور الخالدة، الدائمة الاضائة التي سطرها لها ابوها، وهو... يودع حياته الى الابد... ولكنها قاومت رغبتها حرصاً على الورقة الوردية التي تهرأت... من كثرة ما تلمستها... وسفحت فوقها الدموع دون ان تشعر وهي تقرؤها... مما حدا بفرهاد... أن يفاجئها في عيد زواجهما الأول... بهذه النجمة المضلعة... كي تحفظها فيها... فاكتفت بترديد كلماتها التي حفظتها عن ظهر قلب:

\*\*\*

داليا... اي ابنتي الحبيبة.

عزيز... اي ابني الحبيب.

أخرى... لقد تعذبت هذه المرأة كثيراً.

معى، ويسببى. انى اتركها فى رعايتكما...  
وداعاً... وداعاً

الياس

سجن الحلة: فى ١٠/٤/١٩٥٥

\*\*\*

وداعاً يا أبى... وداعاً يا أبى الحنون... ولتطمئن روحك العالیه فولدك  
قد اختار طريقك... وابتنتك قد وعت الآن لماذا شنقوك... قسماً بالحبل  
الذى التف حول عنقك... قسماً بكلماتك التى تحفر مكانها فى قلبى... ان  
ابقى كما اردت...

والعم باران... اه... يا أبى... كان لنا الاب الحقيقى كما كان لك الاخ  
الحقيقى... لم يدعنا نشعر باليتم... جعلنا نحبك اكثر من وجودنا...  
ولكن... يا أبى... يا أبى... ها نحن نفجع بأبينا... وشهقت...

كانت عيناها قد اخضلتنا بالدموع...

تفوا!!

لتنصب عليك لعنات الارض والسما... لقد قتلت أبى وامتصت  
حيوية عمى... وكدت تقضى على شباب زوجى... والان من يدري كم من  
الارواح توشك ان تزهب... تحت سقفك... ايها الوحش الحجرى... القائم  
على جماجم ولحوم... اماجد الناس...

التفت السائق نحو داليا...

كان يريد ان يقول لها شيئاً ولكنه اذ ابصر عينيها... المحمرتين  
وتظراتها الساهمة باتجاه السجن... اقلع عن فكرته... وحول حديثه الى  
فرهاد... او بالحري الى نفسه فردد مع نفسه كلاماً آخر... غير الذى كان  
فى ذهنه:

- الله اكبر... ما من بيت الا ولوعته هذه الجدران...

وداس على محرك السيارة، بعد ان استقرت عيناه القلقتان على  
فسحة خالية، بدت له كافية لاحتواء السيارة، واطاف بحقد:

- اما ان لها ان تتهدم؟

واطلق منبه سيارته بعصبية، اذ توقفت امامه فجأة عربة تقل  
مواطنين... الا ان العربة ظلت فى وقفته بانتظار صعود الركاب، بينما  
حرك الحوذى سوطه وهو يتحدث الى السائق بصوت عال... لم ينتبه اليه  
ابو حيدر... اذ انحرف الى اليمين وتفادى الاصطدام بها بصعوبة ومهارة  
بالغتين...

قال فرهاد:

- ستتهدم ذات يوم على رأس بناتها.

- بناتها؟

تساءل السائق بسخرية:

- اين هم بناتها...؟ من يدري من بناها؟ ربما بناها الانكليز وهم قد  
طردوا الان... او بناها الاقطاعيون... وهم قد اندثرت رؤوسهم تحت  
التراب... يا كاك... لم يبق احد من بناتها ولكنها هي وحدها الباقية...  
كيف... كيف... لماذا بقيت حتى الان؟...

- بقيت لأن ثمة من يحميها... وحمايتها الحاليون هم ورثة المندثرين...  
وستتهدم فوق رؤوس هؤلاء.

قالت داليا بضيق وانفعال شديدين:

- ولكن متى... متى ذلك هو السؤال.

واضافت بنفس حالتها الانفعالية...

- الى متى تظل تطحن أشرف من فينا.

قال السائق:

- كل يوم تبني فيها اجنحة جديدة... ودهاليز جديدة... وبيتكر فيها أساليب موت جديدة... لستقبل أفواجاً جديدة تطحنهم... كما تقول ام ناسو... أو تلفظهم أشباه رجال.

هم فرهاد أن يقول شيئاً ولكنه سكت حين واصل ابو حيدر حديثه بعصبية.

- قبل خمس وعشرين سنة كنت أحد نزلاء هذا السجن... علماً ان نزلاءه كانوا آنذاك على عدد اصابع اليدين... والبنية نفسها لم تكن بهذه السعة، والآن ها أنت ترى ماصارت اليه، إنها تتوسع... وتتوسع... كشلال ماء متدفق في ارض مترية. من يدري لعلها ستبتلع الحلة كلها ذات يوم.

- بل... انها...

وقاطعه ابو حيدر:

- استاذ نسيت أن أقول أنني لم أسجن بسبب قضية سياسية وإنما بسبب مسألة أخرى... تخجلني الآن...

وسكت...

ولم ير ايّ منهما، لا فرهاد ولا داليا، أن يسأله عن مسألة تخجله... ولكنه اضاف بقسوة:

- قتلت زوجتي...

ولم تستطع داليا تمالك اعصابها:

- زوجتك؟...

قال ابو حيدر بألم:

- او... لأقل... المرأة التي كان يمكن ان تكون زوجتي... لو لم اجدها ليلة الزفاف... غير عذراء...

وسكت السائق، تاه فرهاد في افكار شتي... بينما انسحبت داليا إلى الوراء... واخذت تربت على رأس ناسو الذي كان قد اسند رأسه إلى جدار السيارة... ونام...

- ثم... ثم... بعد تشريح الجثة، تبين انها بريئة... ذلك يعني... اني كنت استحق السجن... بل وحتى الشنق... لاني كنت... مجرماً. ولكن ومع هذا كنت اتمزق داخل السجن... إذن فكيف تكون حال اناس من امثالكم... يضحون بانفسهم في سبيل سواهم... ربما بينهم نفس جلاديهم... يخنقون زهرة شبابهم بين هذه الجدران الصماء... كيف تكون حالهم؟

- الناس من امثالنا أيضاً يتألمون، يترددون، وأحياناً حتى يجبنون ويخونون، الانسان، بعد كل شيء، يا ابو حيدر من لحم ودم... وعواطف وذكريات وتاريخ... ولكن قد يكون احساس البعض منا... بالأم السجن والاضطهاد اخف من الآخرين... لان الثقة والايان بالمستقبل إذ يملأن القلب يشكلان المرهم لكثير من الجروح... والجسر لعبور الكثير من الآلام.

- لا ادري... لا ادري كماكا... ربما تكونون انتم أناساً من طينة أخرى... لا ادري... ولكن الذي ادريه... انني لو لم أبع كل ما املك وارث هذا من المسؤولين وذاك من ولاة الامر... واخرج من السجن لانتهى بي الأمر إلى واحد من اثنين... اما ان اخيس داخل السجن... «وأفطس»... أو يصيبني الجنون...

- صحيح... حياة السجن قاسية...

- قاسية؟... قاسية فقط... انها الموت، الموت الحقيقي... آه... تتوالى الليالي... والنهارات... والليالي والنهارات... لا تعرف ذلك الا من شروق الشمس وغروبها... وحين تكون السماء تغلفها الغيوم... تكون كل ايامك... ليلاً متواصلاً... اشبه بكائن حي... مدفون في قبر.

سحبت داليا... بهدوء ناسو اليها... محاذرة ان توقظه، وضعت رأسه في حجرها بأناة... ورفق...

- نام... الطفل نام... يا عيني عليه...

فتحت حقيبتها اليدوية، إذ وجدت قطرات من العرق اخذت تتكور فوق جبينه... لألى صغيرة تنكسر عليها اشعة الشمس، التقطت ورقة «كلينكس» وراحت تمسح عرقه...

قبلته من جبينه... ثم من وجنته... وأخيراً من فمه المكور ثم اخذت تربت على شعره وتمسده... وتتأمل وجهه الذي شحب كثيراً... واكتساه نحول شديد... بانث عظام وجنتيه عبره بوضوح... وغارت عيناه في حفرتين عميقتين... لم تملأهما حتى الجفنان المسدلان... اللذان تقطعت اهدابهما فبدا اشبه بقطعتي جلد اصفر، تماماً كما كان في المستشفى، فقط ينقصه ذلك الخرطوم المطاطي الطويل الذي كان مغروزاً في وريده، من جهة الاذن... وينتهي طرفه... الآخر بقنينة كبيرة معلقة... فوق رأسه، على الحائط.

\*\*\*

قال لها الطبيب:

- لا بأس ان تنامي بين فترة وأخرى... فقط عليك ان تتأكدي من وضع الخرطوم...

- أتقصد انه يمكن يجري للخرطوم شيء؟

- ليس شيئاً خطيراً... يمكن ان يتحرك الطفل فيسفلت الخرطوم من موضعه، وقد ينطوي فينسد المجرى...

- يا الهي...!!

- لا... لا... ترتعبي المسألة عادية جداً... بمجرد ان تعدلي وضع الخرطوم، يعتدل كل شيء...

قالت وكأنها تخاطب نفسها:

- إذا كان الأمر كذلك... فلن انام أبدا...

وسمعتها الطبيب فقال:

- ذلك امر... فوق طاقة الانسان... لاسيما من كان

في مثل حالك... من الارهاق والتعب... بالاضافة إلى انه... ليس ثمة ضرورة.

- وهل من كان في مثل حالي يغمض له جفن؟

- سيدتي... النوم حاجة طبيعية في الانسان، وليست كل الحاجات تخضع للعواطف.

قال الطبيب ذلك، وهو يسحب الغطاء الابيض فوق ساقى الطفل النحيلتين اللتين برزتا كعودين يابسين، بعد ان انحسرت عنهما الدشداشة البيضاء...

اضاف الطبيب وهو يخرج:

- لا تنسي إذا صادف وتعرقل مجرى الماء المغذي لسبب او آخر... حركي الخرطوم قليلاً كما قلت لك أو أضغطي على الزر الذي بجانبك.

- حسناً... دكتور...

- تصبحين... على خير...

- مع السلامة.

وانسحب الطبيب بأدب جم، تاركاً اياها وحدها في غرفة صغيرة... لا تتجاوز بضعة امتار مربعة... مع ابنها الممدد إلى جانبيها... بلا حراك... عدا صدره الذي يعلو ويهبط... وقطرات من العرق تتكور فوق جفنيه اولاً... ما تغفل عنها هنيهة... حتى تتجمع مجموعة منها... وإذا ذاك

تسيل على وجنتيه... فتسرع إلى مسحها.

الا ان ما اخذ يقلقها ويزعجها ان قطرات العرق لم تعد تقتصر على الجفنين... إذ أخذ جبينه يسبح عرقاً هو الآخر... وان قطرات عديدة منه تتجمع خصلة الشعر المتبقية في مقدمة رأسه... وإذ تسيل هذه القطرات، فانها تتخذ لها مجرى باتجاه الجرح الذي في صدغ الطفل... حيث خرز رأس الخرطوم... مما يسبب للطفل ألماً شديدة... يبدأ على اثرها برفس رجليه... والاسراع في التنفس.

«سيفلت الخرطوم»!

رأت ان افضل شئ تفعله، هو ان تضع منديلاً من مناديلها الورقية... تحت خصلة الشعر مباشرة...

عندئذ استسلم الطفل للرقاد... بينما ظلت هي يقظة، تلتقط قطرات العرق التي تنحرف قبل ان تلمس المنديل.

أحست بخدر يسري في مرفقها الايسر الذي كانت متكئة عليه... فأستعدلت... واتكأت هذه المرة على ظهرها... على مسند السرير... وإذ أحست بألم في ظهرها من حديد السرير الصلب... وضعت المخدة بينهما... وأحست بشئ من الراحة... وظلت ترقب الماء المنحدر من القنينة المعلقة... إلى جسم طفلها... صافياً نقياً، ولولا بعض الفقاعات التي كانت تتكون في القنينة... لانكرت ان تعتقد بان ثمة شيئاً... اي شئ في القنينة... عدا الهواء.

اوه... يا ناسو... يا حبيبي... من اين جاءك هذا الداء... كنت دائماً تملأ البيت... صخباً وحياء... فكيف حدث ان همدت هذا الهمود.

لو جئنا به إلى بغداد في اليوم الأول من اصابته... لما بلغ هذه الدرجة من السوء.

احست بالخدر، لا يقتصر على المرفق... وانما يتجاوزها إلى ظهرها

ايضاً... والى فخذيهما... وحين يبلغ رأسها... يستحيل الى نعاس يداعب جفنيها... فتطرده... حركات سريعة... ولكنه يعود بتحريكها ثانية... كذبابة لجوج تلاحق انساناً متعباً وقت القيلولة...

لو... لو كانت ثمة مجلة... كتاب... كان يمكن ان يعينها على المقاومة...

تذكرت الشاي...

تناولت «الترمس»...

قال لها فرهاد وهو يودعها...

«ما دامت الشلاجة قريبة منك... سأملأ الترمس بالشاي... قد تحتاجين اليه في الليل...»

حسناً فعلت يا فرهاد...

ملأت كوبها، بالشاي الساخن... واخذت ترتشفه... وعيناها لا تفارقان ناسو... والخرطوم... والماء الجاري عبره...

مجت نفسها «الشاي»... الشاي على الجوع يهرس المعدة... اخذت قطعة بسكويت... قضمته... ماعت مع دفقة الشاي في حلقها...

اعادت كوب الشاي الى موضعه... احست بشئ من النشاط يدب في جسمها... اجالت نظرها في الغرفة الصغيرة... لم تدر كم مر عليها من الوقت... كانت الساعة تقترب من الثالثة... صباحاً... ودقت ساعة المستشفى الثالثة... سمعت دقاتها... عدتها دفقة... دفقة... بعد قليل... سيحضر فرهاد... قليل؟ انها ثلاث ساعات اخرى... اذا سمحوا له بالدخول في السادسة... والا فستقفز الساعات الثلاث الى خمس... لو... لو... كان فرهاد معها... وايتسمت... لماذا لا يعدلون قوانين المستشفى بحيث تسمح للزوج البقاء مع زوجها... ضحكت... انا مجنونة!!!

تشاءت... اوه... لا... لا... تشاءت مرة اخرى... نهضت جالسة... تشاءت

مجدداً... هزت رأسها... إذ... احست بثقل فيه... ثقل يطبق جفنها. ويميل رقبتهما... و... وو...

هبت مذعورة على ضربات ارجل ترفس بطنها... وانفاس تتقطع الى جانبها... فتحت عينها برعب كان ناسو يلهث... وهو مببل بالماء... كما لو ان احداً قد صب فوقه برميلاً... من الماء.

القنينة... القنينة انفجرت.

ولكن القنينة كانت في موضعها... اه... اضطربت... صرخت:

- انجدوني... انجدوني... الى... الى... الطفل يموت ولدي يموت...

ولكن باب الغرفة كان مسدوداً، والكل نيام... وفي غمرة اضطرابها وانفعالها، نسيت نصيحة الطبيب بالضغط على الزر... فتحت الباب، واندفعت بجنون نحو غرفة الطبيب الخفر. الا انها لشدة ارتباكها طرقت باباً آخر...

وانفتح عن وجه ممرضة شعناء الشعر... بادرتها باضطراب...

- الطفل... الطفل... الطفل...

- على مهلك... على مهلك... انا قادمة...

- الدكتور... الدكتور اريد الدكتور...

- دعينا نر الامر اولاً...

كانت تعاملها ببرودة جيلدية...

وإذ وقفنا على رأس ناسو:

- لا تخافي... لا تخافي... هذا يحدث غالباً...

فقط امسحي العرق عن الطفل...

وتناولت الممرضة... المنشفة وراحت تمسح بها وجهه ثم بللتها... ووضعتها فوق جبينه... وحركت الخرطوم بضع حركات.

- ضعي... فوق جبينه «كمادات»... ماء بارد... ولا تخافي...

وقبل ان تخرج... اضافت...

- ولا تنسى الانبوب... تحريكه بين فترة واخرى، ضروري.

- آ... آ كان مسدوداً؟

- بسبب حرارته تحرك الطفل... ونتيجة الحركة... انطوى الانبوب...

فسبب ارتفاع الحرارة اكثر...

- اه... يا الهي...

- والآن بوسعك ان تنامي بعض الوقت... فقط لا تطيلي نومك...

- انا؟. بعد الذي حدث؟

واضافت بتصميم:

- سأذر الملح في عيونني...

وفعالاً لم تتم تلك الليلة... عدا تلك اللحظة المنحوسة التي لم تتجاوز

النصف ساعة... اذ سمعت بعد خروج الممرضة الدقة الواحدة بعد الدقات

الثلاث... حتى ان فرهاد الذي دخل الغرفة مع الخيط الاول من خيوط

الفجر... ارتعب... إذ ابصر وجهاً شاحباً... انشق عن عيني محمرتين...

تحيط بهما زرقة حادة... تبدوان خلالها ككوتي نار مظفأة... لتوها...

- اوه... داليا حبيبتي... لكم تعذبت!

ولم تقتصر... عذاباتها على تلك الليلة... وانما... امتدت الى ثلاث ليال

اخرى... ثلاث ليال بنهاراتها الثلاثة...

اوه... حبيبي ناسو...

\*\*\*

- داليا... لو تمسحين العرق... من وجه الطفل...

قال فرهاد وهو يلتفت نحوها...

- ما؟ مات؟  
وكانت دهشة السائق لدهشته اكبر...  
- اغريب ان يموت انسان من التعذيب؟  
- لا... لا ابداً وانما... هو... هو... ما يزال يعتقد انه حي وانه...  
- سيعود اليه في تابوت... مسكين كان انذاك في الكويت ولم يخبره  
احد... بحقيقة ما حدث...  
- اوه... ما افطع ذلك...  
قالتها داليا.  
- ولهذا تراه يركض وراء كل جنازة يراها... مسكين...  
واشار الى رأسه.  
اشارة ذات معنى  
- لقد أختل عقله...

- ها؟...  
- ناسو... لقد غرق في العرق...  
- الطفل يعرق بغزارة...  
قالت ذلك... وراحت تمسح عرقه... ودموعها...  
- ضعيف... الطفل ضعيف... الله يطول عمره...  
قال ابو حيدر...  
قال فرهاد:  
- لم يكن كذلك قبل المرض... بسبب...  
وقطع حديثه فجأة اذ مرقت بجانبهم سيارة سوداء... ذكرته...  
بالسيارة التي اوصلته الى المرآب...  
- ابو حيدر... كنت اريد ان اسألك عن سائق اوصلني الى الكراج...  
سيارته تشبه هذه السيارة...  
وتأمل ابو حيدر السيارة التي تقدمتهم:  
- شوفر... شوفر اربعة وخمسين...  
- لا ادري بالضبط... فانا لا اهتم بموديلات السيارات، السائق هو  
الذي اثار اهتمامي...  
ولم يكذ فرهاد يمضي في حديثه عن السائق... حتى هتف... ابو حيدر:  
- اوه... لقد عرفته... عرفته... ابو محمود... صحيح... سيارته شوفر...  
سوداء... مسكين... هذا مسكين...  
- ما حكايته ابو حيدر.  
- قبل سنتين او اكثر... لا ادري بالضبط... اعتقلوا ابنه الوحيد. شاب  
صغير... لم يتجاوز الثامنة عشرة... لم يقاوم المسكين التعذيب كثيراً...  
فمات...

قالت داليا:

- فرهاد نسيت اخبرك... عزيز خابر...

- عزيز؟...

ومال اليها بكل جسمه:

- ماذا قال...؟

- لا شيء... فقط ليخبرنا... بحال الوالد... يبدو ان دلشاد لم يقل له بانه قد اتصل بنا.

- طبعاً... تدرين مقدار توتر العلاقة بينهما.

- دلشاد... يوتر علاقته مع كل الناس...

قالت ذلك، مضمنة قولها دفاعاً غير مباشر عن شقيقها...  
آمن فرهاد على قولها:

- صحيح... انه معقد بعض الشيء...

ندمت على تهجمها الخفي على اخيه:

- آسفة... ليس قصدي الحط من أخيك... وانما...

- اخي...؟

قاطعها فرهاد ضاحكاً:

- كلاهما اخي... عزيز ودلشاد... وكلاهما اخوك... واذا كان احدهما

افضل من الآخر، فينبغي ان نقره... وذلك كل ما في الامر... امتلأت

داليا فخراً واعتزازاً بزوجها... وقلبه الكبير... قالت في سرها:

انت انسان نادر... يا حبيبي... انسان من نوع... خاص...

بينما كانت نفس الفكرة تدور في ذهن فرهاد فافصح عنها بصراحة:

- عزيز... انسان... رائع... رائع حقاً.

آنذاك قالت داليا:

- وانت كذلك... ولو لم تكونا كذلك... لما احب احدكما الآخر الى هذا الحد... يخيل اليّ ان ابويكما يحيان فيكما...

- بشكل اروع...

ابتسما...

ثم اضاف فرهاد:

- عزيز... شيء آخر... آخر تماماً... الفضل الاكبر له حتى... في حياتنا الحالية...

\*\*\*

في حديقة الكلية حيث كانا يدرسان معاً، كانا جالسين على احدى  
المصاطب الخشبية المبتوثة هنا وهناك.

كان فرهاد... يرمق بشغف... وشبق... فتاة سمراء ناهدة الصدر، مكتنزة  
الشفيتين... رائعة الردين... جر عزيز اذنه:

- هيه... انتبه... انت تفترسها أمامي...

اجاب بلا حرج:

- جميلة يا عزيز... لذيذة يا عزيز... هل رأيت شفيتين اشهى من  
شفتيها... هل رأيت ردين أروع من رديها... هل رأيت صدرأ... اعظم

من صدرها... هي... هي التي اسميها صاحبة الصدر الأعظم في كل  
الكلية... بل كل الجامعة...

- لا...؟

قاطعه عزيز... مقلداً انفعاله:

- بل في كل العراق... لا بل في كل الدنيا...

- كفى... كفى... ان حبيبتك اروع منها... بكثير.

تساءل بدهشة:

- حبيبتي...؟ من هي حبيبتي؟

اجاب عزيز ببساطة متناهية... كأنه يتحدث عن فتاة

غريبة لا عن اخته:

- داليا... طبعاً... ومن سواها؟

ثم اضاف متصنعاً التهديد...

- وهل لك سواها... اخشى ان تكون لك فعلاً...

سواها...؟

انتفض فرهاد... لا... لان واحداً من أكثر الامور خصوصية قد عرفه  
عزيز... بل لانه ربما يكون قد عرفه... بصورة مشوهة... بغير وضعه  
الحقيقي، على الاقل... هو كان يخبره علي اية حال... ولكن كان يريد ان  
يقرر معها... هي، لا معه هو، الزمن المناسب...

فقال له برصانة... وجدية:

- اسمع عزيز... هذه المسألة بحاجة إلى توضيح...

- توضيح... طيط... توضيح بالنسبة إلى من...؟ انا أعرف كل شيء.

احتد فرهاد:

- لتعرف... لا يهمني... كنت ستعرفه على اية حال.

فاننا لا نرتكب عملاً نخفيه عنك... او نخجل منه...

المسألة... بكل وضوح...

ضحك عزيز... حتى استلقى على ظهره...

- انت احمق حقاً...

- عزيز اسمعني ارجوك...

- ماذا دهك يا فرهاد... هل انت معتوه...؟ انتما تحبان بعضكما...

وهذا اروع ما يمكن ان تفعله.

- ولكن... ولكن...

- ملعون... اتحسبني لا ادري... انا عزيز... هل نسيت من اكون... انا لا

يخفى علي شيء... لا في الارض ولا...

- اي... أنت اله... ولكن متقاعد...

- ولكنني... اول من يبارك لكما هذا الحب...

قالها بجدية وصدق... امتص الكثير من شكوكه... ومع هذا تساءل

بأمل:

- صحيح عزيز...؟ صحيح... هل انت جاد...؟

- ولماذا اكون سواه...؟ انا جاد كما لم اكن في اي يوم...

- عزيز... حبيبي...

وقاطعه:

- حبيبي انت تحبها وهي تحبك... ما دامت هي راضية وانت راض...

وضحكا طويلاً.

الا ان فرهاد... صعب عليه كثيراً تصديق الامر بسهولة...

ما كان بوسعه، آنذاك، ان يرتفع بمداركة العقلية إلى مستوى تصديق

المسألة بسبب تلك التعقيدات التي ترافق زيجات من هذا النوع... انها

واحدة من تلك المسائل التي تكاتفت عهود طويلة... طويلة جداً، من

التخلف واللائسانية على جعل تحقيقها أمراً مستحيلاً... وكان نضال

المحبين والعشاق، ضدها يرتفع إلى مستوى الملاحم التاريخية الكبرى...

المجهولة... مليئة بالانسلاخات العائلية... مليئة بالموت احياناً كثيرة...

والذبول والفناء... وما اندر ما تحققت واحدة منها... بلا آلام العائلتين...

وما اقل ما ارتفع بناء واحدة منها على غير الاشلاء... أو الخصومات

الخالدة... وكان هو نفسه، متصوراً لجهما... مصيراً من ذلك النوع... فلذا كان يخطط لزوجهما، بشكل رومانسي طاع... كأن يخطفها... ويتزوج... على الرغم من كل شيء... ومستهيئاً بكل ما يضطر إلى التضحية به من علاقات وصدقات...

\*\*\*

« تفو: لقد كنت غاية في الانانية... »

\*\*\*

اما... اما... وان عزيز... عزيز اخوها... يصور المسألة بهذه الصورة. بهذه البساطة و...

لا... لا بد ان يكون هذا الملعون مازحاً:

- عزيز: هل انت جاد؟. اسألك مرة أخرى.

قهقهه عزيز... ثانية:

- تسألني: الاولى بك ان تجيب على سؤالي اولاً...

- سؤالك... متى سألتني؟

- تضيف إلى جريمتك جريمة أخرى... إذ تنكر اني سألتك...

- اوه... عزيز... بالله كف عن هذه السفسة... وقل ماذا سألتني؟

واعتدل عزيز في جلسته واتخذ طابع الجد... وقال برصانة:

- يا حبيبي... سؤالي الذي تنكره... وتتهرب من الاجابة عليه... كان الآتي:

وسكت... وطال سكوته...

- ها؟

الا انه ظل ساكناً...

- ما اقبحك يا عزيز... قل وخلصني...

- سألتك... هل... أنت... يا... سيد... فرهاد...

مجنون...؟

واطلق ضحكة عالية.

وكبالون ممتلئ بالهواء ثقبه احدهم فجأة، انتكس فرهاد...

واحتد:

- اوه... عزيز... متى تكون جاداً...

- انا جاد... يا أخي... جاد جداً...

- بل فاشستي قذر... تعرف كيف تعذب الانسان...

وظل يضحك...

- انا فاشستي...؟

- اجل انت... واني اتعجب كيف غفل عنك هتلمر ولم يدخلك في

الجستابو؟

- لانه مات بعد ميلادي بعشر سنوات... ها ها ها...

- اسمع عزيز... انا لا تبدو لي المسألة بالبساطة التي تتصورها...

- لماذا...؟

- لماذا... لانها...

وقاطعه عزيز:

- لانها مسيحية وانت مسلم... أليس كذلك؟ أليس ذلك ما تود ان

تقوله؟

ولأول مرة أخذ يتكلم بجديية حقيقية.

- اهذا مستوى تفكيرك... الا تخجل من نفسك؟... ومن الافكار

التقدمية التي تحملها... يا فرهاد...؟

- عزيز!!

- إذا لم يكن بوسعك أن تتجاوز هذه التوافه... فأسمح لي ان أقول لك بصراحة، أني اشك في تقديمتك... قبلما اشك في حبك واخلاصك لها. وانفعل فرهاد كثيراً:

- بل اتجاوز حتى ربها... ولكن المسألة لا تتوقف عليّ وحدي... ماذا عن الاهل؟

- الاهل...؟

وعاد يضحك مجدداً:

- اقصد... اقصد... أمك... مثلاً...

- هي امرأة عجوز... ولا بد ان ترضخ للامر الواقع ثم... ثم... إلى متى نظل ندع ناساً ذوي افكار في دور الانقراض... يخططون لنا حياتنا.

- اوه... عزيز... انت انسان رائع... اروع انسان... ودون ان يكمل عبارته... راح يغمره بالقبل.

- هيه... انتبه... صاحبة الصدر الاعظم ترنو اليك.

- الى الجحيم... من يحب داليا... يتجاوز نساء الارض.

\*\*\*

ندت من داليا آهة قوية:

- آه... يا الهي...

- ماذا هناك؟...

التفت نحوها فرهاد فجأة! كانت دافنة رأسها في حقيبتها اليدوية السوداء.

- المفتاح... نسيته...

- المفتاح؟... أى مفتاح؟...

- مفتاح الباب الخارجي... نسيته فوق المنضدة.

ويحث فرهاد في جيبه... ولكنه عاد خائباً.

- انا أيضاً... نسيته مفتاحي.

- كل ذلك بسبب ناسو... لم يدعنا نتذكر شيئاً.

قال ابو حيدر بطيبة بالغة:

- هل ارجع الى الحلة؟...

- الحلة؟... لقد اصبحنا على مشارف بغداد...

- وعيونك... لا يهمني... اطير بكم طيراناً...

قالت داليا بأمتنان بالغ:

- وما الفائدة... يا اخي... لقد سحبت الباب حين خرجت.

قال فرهاد:

- لا تشغلي بالك... حين نرجع نفكر بطريقة ما.

قالت هي بحزن:

- اية طريقة... ليس امامنا سوى كسر الباب.

- ليكن...

وتساءل فرهاد في سره... ترى متى نرجع...؟ من يدري ما الذي ينتظرنا

هناك؟... آه... فقط لو نصل قبل الكارثة...

- اخونا... ابو حيدر... لو... لو... اقصد لو كان بالامكان ان تسرع

قليلاً...

- اسرع؟... اتدري اني اسير بسرعة مئة وعشرين...

- ادري... ادري... بارك الله فيك... قلت لعله... يمكن... ان... ان...

- ان اسرع اكثر... حاضر... فقد دعنا... نخلص من زحمة بغداد...

- كلاب... يسابقون الموت.

قالها ابو حيدر بغضب، واتبعها بمسبة، وهو يتفادى ببراعة سيارة صغيرة مرقت من جانبه بسرعة طائشة.

امسكت داليا بكلتا يديها، متكأ للمعقد الامامي، بقوة، كي تمنع نفسها من السقوط... بينما، اندفع ناسو، الممدد في حضنها الى الامام، وفتح عينيه... اجالها هنيهة قصيرة... ثم عاد فغفا مرة اخرى.

- هل استيقظ ناسو؟

- لا... فقط فتح عينيه... ثم يبدو انه قد عاد الى النوم.

وتأملت داليا عيني الطفل، بدتا كما لو انهما تتحركان بقلق، ولا تستقران... لاحظت ذلك عبر فتحتي الجفنين غير المطبقتين تماماً.

قالت:

- غريب... نائم وعيناه تتحركان...

- إذن... فهو يحلم...

ومال اليهما فرهاد... يرمق ابنه... ولكن عينيه كانتا باتجاه امه فلم يبصرهما...

- يحلم؟

تساءلت الأم وهي ما تزال تتأمل عيني الطفل المتحركتين، وازافت:

- لعله يحلم بـ«ناسوس»!

- ربما...

ثم اكد قوله:

- وماذا يملك سواه...

- استاذ... معذرة...

قال ابو حيدر... وهو يقدم سيجارة الى فرهاد:

- حتى الآن لم ادر اي نوع من الطيور هو... هذا الـ«ناسوس»!

فترت شفتا داليا عن ابتسامه حية، بينما ضحك فرهاد... ضحكة خافتة...

قالت داليا:

- هذا نوع من الطيور... لا اعتقد انكم اهل الجنوب تعرفونه يا ابو حيدر...

- يبدو الامر كذلك... ام ناسو... فهذا الاسم لم اسمع به قط.

قال فرهاد:

- هذا الاسم، في الواقع، ليس اسماً لأي نوع من الطيور... انما هو اسم لجبل... ارتبط بذكريات أليمة ولكن عزيزة على... قلب الوالد... فاطلق اسمه... على هذا الطائر... الذي اهداه لـ(ناسو).

- ولكن الطائر... الطائر... ماهو؟

تساءل ابو حيدر بفراغ صبر:

- هو... الحجل... يا ابو حيدر... الحجل...

وردد الاسم عدة مرات:

- الحج؟. الحجل...؟

قالت داليا:

- ألم أقل انتم لا تعرفونه؟

هزأ ابو حيدر رأسه... وهو ما يزال يردد ويعصر ذهنه لعله يتذكر طائراً بهذا الاسم.

- الحجل... الحجل...؟ حسناً كيف هو...؟ اقصد كيف شكله؟

حجمه؟ اين يعيش...؟

- هو طائر... مكور تقريباً... منقاره أحمر... رجلاه حمراوان يعيش عادة

في المناطق الجبلية... ولونه...

- انا... لا...؟... كنت اکتفي بالنظر فقط... انه طائر جميل ولاسيما عندما يمشي... ولكن غناه موحش... احياناً.

- ابي يطرب لسماعه كثيراً... يقول هذا صوت الجبل... صوت جبالنا الشما.

- ولهذا اطلق عليه اسم احد الجبال... اسم جميل... هذا الاسم تاسوس... «وكرر مع نفسه...» تاسوس... ياله من اسم... بينما اصل فرهاد حديثه:

- كثيراً ما كان يصحني معه... حين كانا يخرجان لصيده، هو ووالد داليا... ولكنه كان مايكاد يسمع غناه من بعيد، حتى يتوقف... يجمد ولا يتقدم خطوة واحدة... «دعه ألياس دعه... بالله عليك... دعه... يكمل غناه» ولكن الذي كان يحدث، في الغالب، انه يطير... بعد غنائه مباشرة... فيلومه ابو داليا ولكنه كان يجيب: «دعه... انه... يتعقب صوت غناه بين تلافيف الهواء...» والذي يحب القبح كثيراً.

- هو طائر جميل حقاً... ولا استغرب ان يكون المحروس قد تعلق به إلى هذا الحد.

- وايّ تعلق... لقد ملأ عليه حياته كلها...

قالت داليا بأحساس عميق بالندم:

- لقد قسوت على الطفل... من يدري ماذا يحدث لطائره حين عودتنا؟...

همّ ابو حيدر... ان يقول شيئاً... ولكن فرهاد صرخ:

- اغنام... ابو حيدر... اغنام!

وداس ابو حيدر... بسرعة وبرباطة جأش على الفرامل... وبعد صراخ قصير حاد... توقفت السيارة، وانحرفت عن الشارع... الى الارض المتربة... و... طراب...

اندفعت داليا وتاسو... الى الامام بعنف..، بينما امسك فرهاد بالمقبض

قاطعه ابو حيدر:

- عندك... عندك... لقد عرفته... قسماً بالله لقد عرفته... شاهدت منه الكثير في أربيل، في الدكاكين... في المقاهي... ماذا يدعونه له اسم اخر... ليس الحجل...

- القبح!

- صدقت... بالضبط... القبح... ولكنك قلت الحجل يا أستاذ واربكتني...

ثم وجه الحديث ثانية الى داليا:

- لقد شاهدت المئات منه في أربيل، ولكن الاستاذ... يسلمه الله... يتكلم معي... بالنحوي...

وضحكوا...

قال فرهاد:

- ابو حيدر... عاش فترة من حياته في اربيل...

- صحيح...؟ متى كان ذلك يا ابو حيدر...؟

- قبل ان تولدي انت او زوجك... و...

وضحك...

- قبل اكثر من ثلاثين سنة... انهيت فترة الخدمة العسكرية في اربيل وقد كانت المقاهي تعج... آنذاك بالقبح... بعض الناس كانوا يتراهنون على المعارك التي تنشب بينها... مثلما يفعل اهل بغداد... مع الديكة...

أمن... فرهاد على قوله:

- صحيح... صحيح...

- كانت اياماً جميلة بالرغم من أتعابها... اربيل مدينة ضيقة ومتسخة ولكن أهلها غاية في الطيبة...

- والقبح... اكنت تراهن على معاركه...؟

الجلدي المتدلي من سقف السيارة بكلتا يديه، في الوقت الذي احس أبو حيدر بألم في صدره جراء اصطدامه بالمقود... وهو يهتف...  
 - يا ساتر... استر...  
 فتح ناسؤ... عينيه... واستدار اليهما فرهاد... عادت داليا الى موضعها... بينما ظل ابو حيدر مرتقياً على المقود...  
 - ابو حيدر... ابو حيدر...  
 ناداه فرهاد بقلق وهو يحركه:  
 رفع الرجل رأسه... بصعوبة...  
 - لا... لاشئ... لاشئ... الله ستر...  
 تفرقت الاغنام، التي كانت تعبر الشارع، فبعضها عبر... بينما تراجع البعض الآخر... واطلق الراعي الصغير... الذي كان يتقدم القطيع ساقيه للريح... إذ أبصر السيارة قد اقتربت من القطيع كثيراً...  
 وحين ابصره ابو حيدر...  
 - تفو... نغل... ابن نغل...  
 وهم أن ينزل... فأمسك به فرهاد...  
 - لا جدوى... يا ابو حيدر... لن تلحق به على اية حال...  
 - يا كلب... يا ابن الكلب... أما تنتظر حتى يفرغ الشارع!!  
 كان ناسؤ... قد استيقظ وظل لفترة... يتأمل الوجوه... وإذ تعرف عليها... وتذكر كل شئ... قال... بدلاً من الاجابة على سؤال امه.  
 - بابا... ما تأذيت؟...  
 - مس... ماء... ماما...  
 وإذ ذاك حرك ابو حيدر السيارة ثانية... وقلبه يخفق بشدة:  
 - لا... قانون... لا نظام... حين تنصب الكوارث على الواحد منا يتعلق بذيل الأقدار...

وقال فرهاد:  
 - ينبغي ان لا تلقي بكل اللوم على الراعي... نحن أيضاً استغرقتنا الحديث وسهونا عن الطريق...  
 - صحيح... ولكن بالنسبة لعبور الحيوانات والدواب... في شارع مزدحم كهذا... اما ينبغي ان يحددوا لها... مكانات خاصة... للعبور... اشارات، تمنع الاصطدام بها... يا الله... كل جسمي يرتجف... انا اسوق منذ عشرين سنة... لم يصادف والحمدلله... ان سحقت نملة... هذه اجازتي خالية من اي حادث...  
 - مس... اما... ماما... مس... اما...  
 وإذ سمع فرهاد صوت ناسؤ... ثانية... التفت...  
 - داليا... الطفل عطشان...  
 وبدت داليا... كأنها تستيقظ من كابوس...  
 - ها...؟...  
 - ناسؤ... عطشان...  
 قال ابو حيدر:  
 - ثمة مقهى قريب... لم يعد الا القليل... لكي نبلغه...  
 قالت داليا:  
 - معي... «ترمس»... فقط لو تخفف قليلاً...  
 وازافت وهي تصب الماء:  
 - اوه... يا الهي... لقد كتبت لنا حياة جديدة...  
 قالت ذلك وهي تصب بقايا الكأس في كفها التي كورتها... وتغسل بها وجه ناسؤ... الذي احمر... واخذ يلمع تحت اشعة الشمس... بينما اخرج ابو حيدر من علبة سيجائره... سيجارة واحدة... وراح يدخن بقلق وشراهة...

- ناسو... ابني... مرتاح...؟

سأل فرهاد الطفل إذ أحس بأن فترة صمته قد طالت... ولكن الطفل لم يجب... مما جعله يعيد عليه السؤال:

- ناسو... لماذا لا تتكلم...؟

أيضاً، لم يفتح الطفل فاه...

- ناسو ماذا بك... ابوك يتكلم معك... لماذا لا ترد عليه...؟

- زعلان... بابا... ناسو... زعلان...؟

سأله، هذه المرة، ابو حيدر، الذي تعزز عنده الاحساس عبر الحديث، والطريق الطويل، والاحداث المشتركة، بانه قد بات واحداً منهم... أبوها... أبوه... «يا لها من اسرة حباية».

كان يرقب ناسو... في المرأة الامامية... وقد لحظه يرمق البلبيل البلاستيك الملون... الواقف على المحيط الداخلي... حلقة معدنية... اسفل المرأة بالضبط...

همس في اذن فرهاد:

- ناسو... يرمق البلبيل... ولهذا فهو ساكت...

ثم وجه الحديث الى ناسو... مرة اخرى:

- ناسو... ابني... اتريد هذا البلبيل؟

هزّ ناسو كتفيه بالرفض.

ومع ان ابو حيدر لحظه بوضوح... تجاهل علامة كتفيه وقال:

- ولكن عليك ان تحافظ عليه جيداً... والا طار منك...

آنذاك لم يتحمل ناسو هذه الاستهانة بقدراته العقلية:

- هذا بلبيل من كذب... كيف يطير...؟

ضحك ابو حيدر بطلاقة:

- ذكي. ما شاء الله... ذكي...

ولكن ناسو... وبلا مقدمات راح وجهه ينكمش، وانفاسه تصعد وتهبط... و... وفجأة اخذ يجهش بالبكاء.

- ناسو...؟ ابني ماذا بك...؟ ماذا جرى لك...؟

- لعله يريد البلبيل.

قال ابو حيدر... ومدّ يده الى البلبيل يروم انتزاعه... من موضعه... فامسك فرهاد بيده...

- لا... لا... أبدأ... المسألة ليست مسألة البلبيل وحياتك...

ثم توجه الى ابنه:

- تعال... عندي... ناسو... تعال عند بابا.

ولكن الطفل ظل منكفئاً على مسند المقعد الامامي... وكل جسمه يختص...

احاطته امه... بذراعيها وراحت تقبله:

- ماذا هناك... يا ناسو... ماذا بك... يا ولدي...؟

هزّ ابو حيدر رأسه:

- لا حول ولا قوة... بكأوه يقطع القلب.

احاط فرهاد وجه الطفل النحيل بكفيه:

- ناسو... أيوجعك شئ.

وسبقت داليا ابنها في الجواب... اه... ارادت ان تساعد في الاجابة:

- بطنك...؟ ابني... بطنك...؟

وبالرغم من ان داليا سألته بصوت هامس، فان اذني ابي حيدر...

التقطنا السؤال:

- تبول... بابا... تبول...؟

وخفف ابو حيدر من سرعته، بانتظار قرار ناسو... بينما امتدت يدا داليا تحيطان ببطنه. وهي تكرر السؤال نفسه:

- ها بابا... تبول...؟

ولكن الطفل ظل ملتصقاً بمسند المقعد الامامي:

- لا... لا...

فقال فرهاد بفراغ صبر...

- اذن... ماذا هناك...؟

قالها بلهجة حادة مما حمل ابو حيدر ان يقول له بأبوة...

- على مهلك مع الطفل... على مهلك... يا ابو ناسو...

وشعر ابو حيدر بفرح وامتنان... اذ لاحظ على لهجة فرهاد انها لانت فعلاً وهو يسأله برقة:

- قل... بابا... لا تستح... اذ كنت تريد شيئاً قلبه،.

ولكن الطفل اكنفى بالبكاء.

- لا تبك... بابا... ناسو... فقط لا تبك...

قالت داليا، وهي تمسح له دموعه...

- جوعان... ناسو... ابني... جوعان...؟

سأله ابو حيدر برقة بالغة، دون ان يلتفت نحوه...

وتردد الطفل قبل ان يقول بصوت تخنقه الدموع.

- لا... العبيج... جوعان... بابا العبيج...

- القبيج...؟

ولاحظ ابو حيدر ان الحدة قد عادت الى لهجة الاب... الا انه لم يقل شيئاً...

بينما استاءت داليا كثيراً...

- يلف ويدور... ويرجع الى «العبيج»

ولفظت القاف بعين مضخمة... مقلدة إياه... بضجر.

بينما قال الاب:

- اشترى لك... زوجاً من العبيج... حين نصل اربيل...

- لا... لا... اريد «ناسوس»... اريد ناسوس...

احتدت داليا:

- الا... ناسوس... كأن الله لم يخلق سواه من الطيور... أى عناد هذا...

قال ابو حيدر... بحسن نية... وطيبة:

- بسيطة... نسميها «ناسوس» أيضاً...

ولكن الطفل كان يعاني من مشكلة اخرى:

- ناسوس... يموت... يموت...

قالها بصوت مثقل بالالم.

- ابوك يشتري لك غيره... الم يقل لك...؟

- لا... لا اريده... ان يموت... لا اريد ان يموت.

ولم يعد بوسع الام ان تتحمل اكثر، فانفجرت فيه:

- والآن كفى يا ناسو... كفى... لقد اطلنا معك الصبر اكثر مما ينبغي...

تراجع الطفل الى نفسه بحزن شديد... منكمشاً كثيراً.

- ماما...

- اسكت... اسكت... والا قذفت بك من السيارة.

قالتها بتهديد شديد... وهي تلوح له بكلتا يديها... وبدا للطفل انه يلوح في عينها نفس الغضب الذي لمحتة وهي تهجم عليه حين كان ملقى اسفل الثلاجة، فصرخ مستنجداً بابيه...

- بابا...

مما حمل فرهاد ان يقول لها بتأنيب شديد:

- داليا... دعي الطفل...

الا ان داليا وهي في عنفوان غضبها... واحتدادها على الطفل... فقدت السيطرة على اعصابها...

- انت الذي افسدته...

ثم اسرعت تصيح:

- تدليلك افسد عليّ الطفل.

امتعض فرهاد كثيراً، من تصرفها مع الطفل، واكثر من حديثها معه على هذا النحو... ولكنه لم يقل شيئاً، اكتفى بنظرة طويلة سددها نحوها... اضطربت داليا... ادارت وجهها... اشغلت نفسها بالنظر خارج السيارة... متجنبه مواجهته... بينما اخذ فرهاد يربت على رأس الطفل بحنان:

- تعال عندي ابني... تعال... امك تعبانة...

وامسك به من تحت ابطيه.

لم يقاوم الطفل هذه المرة، بل اندفع نحوه... حاملاً جسمه الهزيل... على اصابع قدميه... وحين غدا في حضن ابيه اخذ يلتصق به، وهو يطبطب على ظهره... واذا اطمأن الطفل الى رقة ابيه وحنانه... الذي بدا يغمر كل كيانه... قال بتوسل:

- بابا...

وتوقف...

- ها بابا... قل... ابني... تكلم...

لقى بذراعيه حول عنق ابيه... قبل ان يقول بصوت واهن.

- بابا... نرجع الى البيت...؟

وفغر الأب فاه دهشة:

- ها...؟

ادخل عينيه الدامعتين... في عينية المتسعيتين دهشة!

- نرجع الى البيت...؟

- لا... ناسو... لا... كل شئ... الا هذا...

- بابا... الله يخليك...

وانهمر على يديه تقبيلاً...

- لا... بابا... لا ناسو... هل تدري اين نحن الآن؟...

وقال ابو حيدر:

- بابا... البيت بعيد... بعيد جداً.

ومط... في كلمة «بعيد» كثيراً... واكثر من «بعيد جداً»

يقصد جعل الطفل يدرك مقدار البعد... الذي يعنيه

ولكن الطفل لم يرد عليه... ظل متعلقاً بيدي ابيه...

- بابا ناسوس يموت... والله يموت...

أحس الأب بألم كبير... وأخذ يعاني من مشاعر شتى، متناقضة معقولة، لا معقولة... ولكنها اليممة... كان يلتهب ويتمزق تحت غطاء الصمت الذي دخل تحته...

احس ابو حيدر بالشفقة ازا... وتطوع بفك الحصار المضروب حوله

وانصرف عنه ثانية وهو يقول:  
 - أنت لا تفهم.  
 ضحك ابو حيدر بأنتشاء بينما أئبه أبوه...  
 - ناسو... كيف تقول لعمك مثل هذا الكلام؟  
 - دعه ابو ناسو... بالله عليك دعه... كم هو لذيد الحديث معه...  
 أن أبنيك هذا حرسه الله، مدهش... مدهش... خذ... ناسو خذ... هذه جائزة لك... لذكائك...  
 وضم قبضته على شيء أخرجه من جيبه قبل أن يراه ناسو، تردد الطفل في قبوله... حثه أبوه...  
 - خذها ابني... خذ جائزة عمك...  
 وحين مد ناسو يده... سحب أبو حيدر قبضته، ضاحكا.  
 - لا... لا... لا تستعجل... يجب أن تعرف أولاً ما هو.  
 ارتد ناسو... بينما راح هو يلاحقه:  
 - هيا... هيا... ناسو انت شاطر... وستعرفه حتماً...  
 وتلكاً ناسو في الجواب قليلاً... ثم قال:  
 - جكليت...  
 - لا...  
 وأظهر جزءاً صغيراً مما يخفيه في قبضته فصاح الطفل في بهجة:  
 - علك... علك ابو السهم...  
 - صح... والآن هات قبلة لعمك...  
 وقدم له ناسو خده... وقبله أبو حيدر بأبوة وصرخ:  
 - الله...  
 ثم اضاف:

- ابني ناسو... انت عاقل... يجب ان تفهم... ان الطيور لا تموت.  
 اهمله ناسو... حتى لم يلتفت نحوه... احس ابو حيدر بانصرافه الكلي عنه... ولكن ذلك لم يثبط عزيمته:  
 - انظر... ناسو... انظر...  
 وسكت منتظراً حتى التفت نحوه ناسو...  
 - انظر... هذا البلبل عندي منذ خمس سنوات... والى الآن لم يتمرض حتى... ولا يوماً واحداً... فكيف يموت...  
 - «لعابة» هذه لعابة... الا اعرف...  
 - تعرف... والله تعرف كل شيء... بارك الله فيك... ولكني اؤكد لك... ان ناسوسك لا يموت...  
 قال ناسو:  
 - وماذا يأكل... ليس عنده... اي اكل...  
 وبرق ذهن ابي حيدر بجواب، اسرع في ايصاله اليه دون ان يهتم بمقدار ما يحمله من صواب... او من قدرة على اقناع الطفل:  
 - امه تجلب له الاكل...  
 - وكيف تدخل امه...؟ ماما... اغلقت الباب...  
 وسعد ابو حيدر بالحديث مع الطفل كثيراً... لا فقط لانه انقذ والديه المتعبين من الحاحه... وانما لاحساس داخلي بانه يتحدث الى انسان صغير دخل قلبه...  
 - في هذه الحالة... يخرج هو من القفص... يأكل ويشرب ويعود... اليه... ثانية...  
 أجاب الطفل... بذكاء:  
 - باب القفص مسدود... وليس في البيت أي شيء حتى يأكل،

- عطار... بابا... عطار...  
 هتف ناسو... بفرح... وهو يرنو إلى القطار النازل من كركوك  
 - لماذا تقول عطار... قل قطار... بابا... قطار...  
 قال ابو حيدر وهو يضحك:  
 - يا الله... ما اغرب الاطفال، حفيدتي تلفظ الحاء حاء فالخيار...  
 حيار... والخروف حروف... حتى اسمها خولة... إذ ما سألتها عنه تقول  
 حولة... ها... ها... ما اجمل الاطفال...  
 - بابا العطار... طويل... طويل...  
 ووجدت داليا نفسها تغرق في هذا القطار الطويل... الطويل بعربات  
 المتعددة... وجك جك جكه... المتواصل...  
 استسلمت لذكريات بعيدة...  
 التفت اليها فرهاد، نبهها الى القطار... وإذ رآها غارقة فيه ابتسم...  
 ابتسمت هي الاخرى... ود فرهاد لو يحتضنها... يقبلها، نفس الرغبة  
 ساورت داليا... فأخفض كل منهما عينه... واندمجا في القطار... الذي  
 أدركته السيارة... وخلفته وراءها...  
 نبههما صوت ابو حيدر، وهو يقول إذ لاحت مدينة:  
 « طوز خورماتو. »:  
 - هذه طوز... اما نتوقف قليلاً... نتناول لقمة.  
 أجب فرهاد:  
 - إذا كنت جائعاً...  
 وسأله ابو حيدر بدوره:

- والآن... افتح فمك... واغمض عينيك.  
 وامتلئ ناسو... وترث أبو حيدر قيلولاً... حتى عبرت سيارة كانت قادمة  
 من كركوك... قبل ان يلقي بالعلك في فيه... وهو يقول:  
 - أو به ليس... ها ها ها...  
 قالها وهو يضحك:  
 - عندي حفيذة صغيرة جميلة... مثلك... سزوجك اياها... هاهاها.  
 واخذ ناسو... يمضغ العلك، ويتطلع عبر زجاج السيارة الى مجموعة  
 ابقار... كانت ترعى على مبعدة...  
 واذا رأى أبو حيدر انشغاله... قال وبصوت خافت:  
 - سينسى... القبيح.  
 ابتسم فرهاد... وقال وهو يربت على شعر ناسو... منطلقاً من خبرة  
 طويلة مع ابنه:  
 - ربما... ولكن... لفترة...  
 - من الصعب على الاطفال ان ينسوا الاشياء التي يحبونها... خولة...  
 حين فقدت دميتها... اشترت لها اخرى...  
 - ولكنها لم تنس الاولى...  
 اضطرب أبو حيدر:  
 - ها... لا نسيته... نسيته...  
 قالها بأنفعال غريب.

- وانت...؟ أم ناسو؟... ناسو؟... الا تأكلون شيئاً؟...

- انا بصراحة كل ما يهمني ان اصل اربيل...

سأله ابو حيدر:

- كم الساعة الان...؟

- الثالثة وبضع دقائق.

وراح أبو حيدر في تفكير قصير...

- الثالثة... والطريق يغلق في الخامسة...

ثم قال لفرهاد:

- قلت انهم يسمحون بدخول السيارات حتى الساعة أيضاً.

- اجل...

- اذن ستصل قبل اغلاق الطريق...

قال ذلك واتجه بسيارته صوب المطعم:

- الواقع... انا جوعان... هيا... لنأكل شيئاً...

التفت فرهاد الى داليا... التي كانت ما تزال تتعقب بعينيها حركة

القطار القادم...

- وانت داليا؟

- ها؟...

- اما تأكلين شيئاً؟

- انا... لا... لا اشتهي شيئاً...

- اتبقين في السيارة... حارة!

ابو حيدر... سألهما:

- لا... سأتمشى قليلاً... في الظل...

ترجل ابو حيدر... وتبعه... فرهاد...

- تعال... بابا... تعال انت معي...

وامسك ابو حيدر... بيد ناسو...

قال فرهاد... لداليا:

- انا أيضاً لا أحس بالجوع... ولكن... سأشرب شايًا...

- فقط لا تتأخروا... لعنا نصل قبل ان يدهمنا الليل...

قالت ذلك؛ وراحت تتأمل ثانية القطار الذي لحق بهم وتوقف...

في محطة طوز... بعرباته المتعددة، الفارغة... ودون ان يتقدم منه احد...

\*\*\*

في محطة اربيل، وجدت فرهاد بانتظارهما، هي وعزيز...

خف اليهما في شوق وقلق:

- تأخرتما... لماذا؟...

ودون ان ينتظر حتى يسمع جواب سؤاله، سحب داليا من يدها... بينما

مدّ الأخرى الى عزيز... يضافحه مودعاً وهو يقول:

- هيا... داليا... هيا... القطار على وشك التحرك.

الا ان عزيز ظل جامداً... لم يقدم له يده... مما اوقع فرهاد في حيرة...

- ماذا بك... يا عزيز...؟

اجاب عزيز ساهماً:

- ها... لا ادري فرهاد... لا ادري بالضبط...

- ما الذي لا تدريه يا عزيز... كل شئ معد... ما عليك الا ان تتحرك

يدها...

- يدها؟... ها... آسف... آسف جداً.

وترك يد داليا... التي وقفت حائرة بين اخيها الذي اخذ يبدو عليه

التردد... وبين فرهاد ، القلق المتلهف... الذي يكاد يمزقه الشوق...

- داليا... هل ثمة شيء...

نقلت سؤاله الى اخيها... عبر نظرتها اليه... فاجاب عزيز... الذي ادرك بان السؤال موجه اليه اكثر مما هو موجه الى داليا... متغلباً على تردده:

- لا... فرهاد... لا... لا شيء هناك ابداً... هيا... هيا قبل ان يفوتكما القطار... ولتنعما بحياتكما... قبل داليا بحرارة... واحتضن فرهاد طويلاً... قبله بسرعة... ثم تركهما... بعجلة... وهو يلوح لهما بيديه... ويغادر المحطة، حتى قبل ان يتحرك القطار... واذا اتخذا مكانيهما في القطار... قال فرهاد:

- هذا الرجل عزيز... لا افهمه... ابداً... ماذا جرى له يا داليا... لم يكن طبيعياً...

- بسبب ماما...

- هل عرفت بالامر؟...

- لا... ولهذا لا يدري كيف سيواجهها...

امس... قال لها: غداً... تسافر داليا الى بغداد... لانجاز معاملات التوظيف... سألت؛ لماذا بغداد... كل زميلاتنا تم تعيينهن من مركز اللواء... لم يحر طويلاً امامها اذ سرعان ما قدح ذهنه بكذبة اخرى: ثمة اشكال في أوراقها... ولا بد من سفرها الى بغداد... ازداد فرهاد اعجاباً بعزیز... وتضحياته من اجلهما:

- بالله... تصوري هذا الرجل الذي لم يعتد ان يكذب حتى في اخرج المواقف... يكذب الآن... ومن اجلنا

- نحن مدينان له بالكثير...

- سنرد له دينه... بان اسميه... شاهد الحب الاعظم ثم قال وهو يضحك:

- المهم... انت ذاهبة الآن... كي تتوظفي...

ابتسمت داليا:

- كي... اوظف كل حياتي... لحبك... واسعادك...

- اوه... داليا... حبيبتي...

واحتضنها بشوق غامر...

- في الطريق، لاحظت بعض التردد على عزيز...

سألته: ما بك يا عزيز؟ اجاب بسرعة... كما لو كان ينتظر هذا السؤال طوال الوقت: داليا... يخيل الي ان قوة اكبر مني تحدد افعالي... ربما هي قوة حبي لك... حبي لفرهاد... او هي قوة المنطق والعقل ومع هذا فلسنت ادري... ان كان ما افعله صحيحاً أم لا... لا ادري... يا داليا.

- اذن فقد انتابته الشكوك...

- ليس بالضبط... وانما كان متألماً جداً من اجل الوالدة... انت تدري مقدار تمسكها بمسائل الدين والكنيسة... ان الأمر بالنسبة اليها... سيكون قاسياً. قاسياً جداً... من يدري... قد يستحيل عندها شقاء طويلاً...

- داليا... لا ينبغي ان نبني سعادتنا على شقاء الذين نحبهم... وخاصة امك...

- ها؟.

وارتعبت داليا... ما الذي يقول فرهاد أيمن أن يتراجع؟

- ماذا تقصد يا فرهاد...؟

- اقصد... ان اول عمل نقوم به... بعد زواجنا هو مصالحة الوالدة.

- اوه... فرهاد...

ودفنت رأسها في حضنه... بينما اخذ هو يغرز أنامله في شعرها المسترسل... ويقول:

- كل ما تم كان لا بد ان يتم... وبالشكل الذي تم به، لم يكن امامنا شئ آخر سواه... ابداً... ابداً.

- صحيح... صحيح... وانا واثقة ان لا احد منا يندم... اطلاقاً...

- كان الندم يسمم كل حياتنا لو تصرفنا على نحو آخر...

- هذا فيما اذا كنا نبقي على قيد الحياة. وذلك ما اشك فيه...

- قطعاً ما كانت تكون لاي منا ثمة حياة.

\*\*\*

- داليا... داليا...

- واهتزت داليا...

- اكنت نائمة؟

- لا...

ثم اضافت من خلال ابتسامة مشعة:

- كنت اتذكر... ليلة سفرنا... من اربيل...

واشارت الى القطار... واذا ذاك انتبهت الى ان القطار كان قد غادر المحطة، ربما فارغاً، مثلما دخلها... فضحك فرهاد:

- كان المفروض... ان تتمشي... قليلاً... كما قلت...

- استغرقتني ذكريات تلك الليلة... ما هذا بيدك؟

- لفة... لفة كباب... قد تجوعين في الطريق...

- تشبه اللفة التي اعدتها لي والدتي ليلة سفرنا...

- تلك كانت لفة بيض... وقد اكلتها انا...

وتفجر فيهما شوق عارم... ليعانق احدهما الآخر... وان يبقيها كذلك... كما كانا... في تلك الليلة... في المقصورة... ولكنهما... اكتفيا بالضغط على اليدين... فقد كان ابو حيدر... وهو يحمل ناسو بين يديه... ويدغده...

بحنكه... قد اقترب منهما...

- قبيح.

- قبيح؟...

- من الفخار أباي ابو حيدر الا ان يشتريه له...

- ولكن ناسو... لم يكن يبدو سعيداً... بقبيحه... كان يبدو كأنه يحمل

بين يديه... جنازة...

- جنازة...؟...

وارتعبت داليا من الصورة التي قفزت الى رأسها في غفلة فتهربت

منها...

- هيا... ناسو هيا... اصعد... يا ابني...

قال ابو حيدر:

- الطريق خال... ترى... هل بدأ « منع التجول »  
وضحك...

- لا... ما زلنا دون الثالثة... والنصف.

- الحر لا يطاق...

قالت داليا وهي تتهرب من الشمس التي غزت المقعد الخلفي...

- خذي... ابنتي... خذي... هذه المنشقة... سدي بها الزجاج...

واخرج من تحت المقود، منشقة... وناولها... اياها...

- اتستطيعين؟... ام... اسده لك؟...

- لا... لا... دعني احاول اولاً...

واعانها فرهاد... واحتمت بالظل الذي أسقطته المنشقة على المقعد.

انتبه ابو حيدر ان ناسو... يتأمل القبيح... فسأله:

- ها... ناسو... حلو ناسوسك... هذا؟...

- ليس هذا ناسوس...

قالها الطفل بأشمزاز... وود لو يستطيع ان يرمي به خارجاً... ضحك

ابو حيدر...

- ولكننا اتفقنا في المقهى ان نسميه « ناسوس ».

- لا... لا...

اصر الطفل... وهو يرد الالهانة التي تلحق بطائره العزيز، واخذ يضجر  
من ثقل الكتلة الفخارية المصنوعة، على هيئة كائن غريب قبيح... لا هو  
قبيح... ولا بلبل... ولا حمامة... ملامحه قاسيه... وملمسه خشن... اصياغه  
صارخة... وقد تشققت عند الاجنحة... واسفل المنقار...

تركها ناسو تسقط على ارضية السيارة... متعمداً... لم يحفل بها  
احد... لا ابوه... ولا ابو حيدر... ولا امه... بالرغم من انهم جميعاً سمعوا  
صوت ارتطامها القوي...

« ما الفائدة انه لا يرضى عن طائره بديلاً... ولو قدمت له الدنيا » هكذا  
فكر ابو حيدر... قبل ان يقول بألم دفين:

- لا جدوى... لا جدوى... لا شئ يعوضه عن ناسوسه...

بدا كأنه يكلم نفسه... لذا لم يعلق عليه احد منهما بشئ... مما جعله ان  
يقول بغضب موجهاً الحديث اليهما مباشرة:

- ما كان ينبغي ان تتركا الطائر...

دهش فرهاد... وداليا... كثيراً منه... ومن لهجته الغاضبة... ولكن احداً  
منهما لم يفتح فاه بكلمة...

انتابه شعور بانه قد تمادى في التدخل في شؤونهم الخاصة، اكثر مما  
ينبغي... فقال معتذراً:

- آسف... آسف... ليس قصدي ان اثير الطفل... ولكنني... متألم من  
اجله... متألم جداً...

ادرك فرهاد... صدق وحقيقة احساس الرجل:

- وأي منا لا يتمزق ألماً من اجله... ولكن فات الاوان يا ابو حيدر...

فات الاوان...

هزّ ابو حيدر رأسه... وعض على شفتيه بحرقه... اخذ السيجارة التي  
قدمها له فرهاد، وهو يقول:

- كيف يدرك الطفل انه قد فات الاوان او لم يفت... لقد اغلق ذهنه  
على الطير... ولا يرضى بالدنيا كلها بديلاً.

قالت داليا... وكأنها تدفع عن نفسها تهمة:

- ذنبه... لو لم يلعب بالثلاجة... لما حدث... ما حدث...

لم يجيبها احد... صمت متوتر... جثم على الكل فجأة.

كان فرهاد... يعانني... من الام شتى... في روحه اكثر من منفذ للالم...  
واكثر من قناة للاوجاع لتفرغ فيها... أبوه... يحتضر... وقد لا يلحق به...  
ولا يتزود منه بالنظرة الاخيرة... وناسو... يمزقه الغم والحزن والالم على  
طأثره.

ما قاله ابو حيدر... ما يزال ينغرز في قلبه سكيناً... «ما كان ينبغي ان  
تترك الطائر...» «اجل... بالتأكيد... ما كان ينبغي ان تترك الطائر...  
وبالتالي ان تجعل الطفل يتعذب على هذا النحو... القاسي...» وفكر  
«ولكن لو كان أبو حيدر هذا... نفسه في الوضع الذي نحن فيه... اكان  
بوسعه... انذاك ان يفكر بطير... او بسواه... او... ليس الشاكل...  
كالمعزي... ليس الشاكل كالمعزي... ان ابي يموت... يموت... يا ابو حيدر ولو  
تدري أي أب هو... آه... فقط لو تدري...

احس بنفسه تتمزق، بين ابنه، الذي انكمش على نفسه، وهو يرسل...  
الى الخارج عبر الزجاج الامامية، نظرات ساهمة... وبين ابيه الذي  
يحتضر... فقد القى حديث ابو حيدر... ونبرة صوته... المتسمة بالصدق  
والتجرد... بدودة نهمة... في اعصابه اخذت تنهشها نهشاً... تفترسها  
بقسوة وشراسة... بل احيا الدودة التي تصور انها قد ماتت لطول صراعه  
الصامت وكفاحه المستميت ضدها... ولكن لا... لا ينبغي لها... ان تعود  
الى الحياة... ينبغي ان اناضل ضدها... ان اصارعها حتى اصارعها...

ثمة ابا لا يمتلكون بالنسبة لابنائهم بعداً آخر... عدا البعد البيولوجي  
والعلاقة بينهم وبينهم تتشكل، بحكم تواجدهم في بيت واحد... او  
تستمر بسبب ذلك التواجد... «ولكن الامر بالنسبة لي مختلف... مختلف  
تماماً... فباران صديقي... ومعلمي... و... و...»

\*\*\*

قال فرهاد:

- ثمة قضية تشغلني منذ زمن... ولا بد من طرحها عليك... ولكنني  
متردد

- ولماذا التردد يا ولدي؟...

- انا ايضاً اتساءل... لماذا التردد ازاءك انت بالذات وقد عودتني على  
الصراحة في كل شيء...

- اذن... هات ما عندك... ولا تتردد...

- أنا... أنا... أنا... أحب داليا...

وقذف الكلمتين الاخيرتين من فيه... كما لو كان يقذف بجمرة نار  
توشك ان تحرق فاه.

قابله الرجل ببرود:

- تجبها؟...

ثم ضحك وهو يضيف:

- ومن منا لا يحبها... هي واحدة منا.

تأكد فرهاد انه قد ادرك قصده جيداً... ولكنه لم يدر لماذا يحاول  
تجاهله... ربما لكي يمنح نفسه فرصة لتحديد موقفه... او لكي يمهّد الطريق  
امامه... فرصة لتحديد موقفه... او لكي يمهّد الطريق امامه... للتراجع  
ولكن لا... لا بد ان انهي المسألة:

- اقصد... اني احبها... واريد أن...

تجهم وجه الوالد، وقال بغلظة...

- داليا... اختك.

- داليا اختي وامي واخي... وكل شيء بالنسبة لي ولهذا فانا أريد ان  
اتزوجها...

- أمها... لن توافق بسهولة... وقد قررنا أن نضعها امام الامر الواقع.
- قررتم؟
- اجل... انا وداليا وعزيز...
- هكذا... اذن...؟
- والآن نريد موافقتك... انها تعني بالنسبة لنا الكثير
- تردد الاب مرة اخرى:
- داليا ابنة اليباس... وتدرى جيداً، ماذا يعني بالنسبة لي كونها ابنة اليباس... يعني... أنها بنتي كما انت ابني... ولم يدر بخلدي ان ازوج اخوين من بعضهما.
- تلك نظرة مثالية الى الواقع... ثم ان زواجنا تعزيز لهذه الاخوة... ودفع بها الى الاندماج الاقوى...
- صحيح ما تقوله صحيح... انه خطأ في تقديراتي، كان ينبغي ان افكر بالعلاقة الطبيعية التي يمكن أن تنشأ بينكما...
- وسرح بذهنه قليلاً...
- لتغمدك الرحمة الى الابد... يا اليباس... ادركت الامر وهما مجرد طفلين...
- اذن فانت موافق؟
- قالها فرهاد متهلل الوجه...
- بشرط...
- وسكت... فترة. غاص فيها قلب فرهاد:
- اذا كنت تجد في نفسك، القدرة على اسعادها. سعادتها تعني سعادتني... ولن اقول اكثر...

\*\*\*

- .....  
أحтар الاب، بينما واصل فرهاد حديثه:
- ابي... أنت صديقنا ومعلمنا... ولا بد ان تنظر للقضية في وضعها الطبيعي، وضعها الانساني...
- و... و... هي... ما رأيها...
- تحبني... مثلما احبها.
- هه... هل... تكاشفتما... أم ان المسألة كلها مجرد احساس خاص بكل منكما...
- تكاشفتنا... واحدنا لا يجد له سعادة من دون الآخر...
- فردد الاب مع نفسه:
- اذن فقد كبرت... حتى تحبا... و...
- واطمأن فرهاد... اذ لمح ظلال ابتسامة على شفثيه:
- هل فكرتما بالاشكالات التي تعترض زواجاً من هذا النوع.
- اشكالات يخلقها ناس متخلفون فكرباً واجتماعياً.
- ما شأننا بهم؟
- لستما في جزيرة معزولة.
- وحين هم فرهاد ان يتكلم... قاطعه:
- لنؤجل موضوع الناس مؤقتاً... ما رأي امها...
- وعزيز؟
- عزيز... لا يقل عنا حماسة...
- ابتسم الاب بارتياح:
- عزيز... ابن ابيه... وأمها؟

استسلم الطفل لمداعباته... بألفة بالغة  
- الطفل نعسان...  
- تعال... ناسو... تعال ابني... نم عندي.  
ولكن الطفل لم يبداية رغبة للاستجابة لأمه.  
قال فرهاد:  
- هيا... بابا... عند امك... عمولا يستطيع ان يسوق اذا بقيت ممدداً  
على رجله...

- ناسو... فرهاد الا تنتبه الى ابنك...  
وانتبه فرهاد... كان ناسو قد امسك بالبلبل المتدلى من اسفل المرأة  
فصاح به:  
- ناسو...!!  
- دعه... يا اخي... دعه... دع الطفل يلعب.  
- اخشى ان يقطعه يا ابو حيدر.  
- ليقطعه... وماذا في ذلك.  
واسرع ابو حيدر ينتزع البلبل من موضعه بالرغم من كل احتجاجات  
فرهاد وداليا...  
- خذ ابني... خذ...  
ولكن ناسو لم يمد يده... فتركه ابو حيدر في حضنه...  
فقال... له ابوه:  
- خذه... ابني... خذه... ما دام قد انتزعه...  
غمر ابا حيدر حزن شديد من اجل الطفل... اه... لو كان بوسعه ان يعيد  
الابتسامه الى هاتين الشفتين المطبقتين... والبهجة والحيوية الى هذا الوجه  
الشاحب...  
اذا كان قد فشل مع حفيدته... فكم يود من اعماقه ان ينجح مع ناسو...  
ولكن ماذا بوسعه ان يفعل... كيف السبيل الى جعل ابويه يريان ما  
يراه... هو... مائلاً امام عينه دائماً... كيف له ان يمنع حدوث ما حدث...  
لحفيدته... آه...  
ووجد نفسه يرفع يده اليمنى عن المقود... ليحطها برفق فوق رأس...  
ناسو... يمسد خصلة الشعر الامامية... لماذا حلقوا له رأسه على هذا  
النحو... اى حلاقة هذه؟

- نام؟...

تساءل فرهاد، إذ طالت فترة الصمت التي دخلها ناسو... وهو يستدير نحو زوجته:

اشارت اليه بسبابتها... ان اسكت... اسكت، لا توقظه.

لكن ناسو، بالرغم من الصمت الطويل الذي اطبق عليه لم يكن نائماً؛ لجأ الى الصمت لانه احس بأنه قد فقد القدرة على التواصل مع هؤلاء... ابو حيدر وحده يمكن ان يستجيب له... ولكن ليس بوسعه، ان يحقق شيئاً له... اما ابوه... اما امه... فما الذي جرى لهما... انهما لا يدعانه حتى يتحدث مجرد الحديث عن طائرته... لماذا؟... ماذا دهاهما... اليوم لم يكونا ابداً على هذه الحال...

واذ ظل عقله عاجزاً عن اية اجابة، دخل صمته، وراح يلوك همومه وأحزانه، في وحدة قاسية؛ لو لم تغلق امه الباب... والشبابيك لربما دخلت امه... كما يقول عمو ابو حيدر... واطعمته... أو لو لم يغلق هو باب القفص... لخرج المسكين. وعثر لنفسه على شئ يأكله... ولكن كيف يتركه مفتوحاً...؟ يدري الله ماذا يحدث له... ان فعل.

والآن... ماذا يحدث له؟... سيظل يشرب الماء... ويشرب... ويشرب لانه... ليس أمامه غير الماء... فينتفخ... وينتفخ ثم طاق... كما يحدث حين يملأ هو... باللونات الهواء الرقيقة، بالماء... اكثر من طاقتها. لا... ياربي... لا... لا تجعله... يطق... لا تجعله يموت... واذا فتح عينه... سألته امه:

- الم تتم...؟

وقبل ان تنتظر جواب الطفل اضافت:

- نم... ابني... نم...

وراحت تهزه في حضنها... احست به... نحيلاً... ضعيفاً الى حد لا يصدق... ترى، حين كان في بطنها... الم يكن اكبر حجماً مما هو الآن... تجده... صغيراً... خفيفاً، بينما حين كانت حاملاً به ولا سيما في شهورها الاخيرة... كانت تحس بثقله... يشغل مشيتها وحركتها... حتى امها بهتت... من كبر حجم حملها:

\*\*\*

امها كادت تجن حين علمت بزواجها من فرهاد... لم تترك سببة ولم تلصقها، بعزير خاصة، وبها... وفرهاد، و... وظلت لاكثر من سنة... لا تسمح باى حديث عنها. او عن زوجها... حتى قطعت كل امل لها ان تسامحها... واخفقت كل محاولات الناس الطيبين في هذا الصدد، ذات يوم قال فرهاد:

- انا واثق... انها ستسامحنا،.

- ولكن متى. يا فرهاد... متى؟

- لا ادري بالضبط متى... ولكن ربما حين تضعين حملك الاول. هكذا يخيل إلي... ناخذ الوليد معنا ونذهب اليها... مرة اخرى... انذاك لن تغلق الباب بوجهينا... او بالحري بوجهنا... فمهما بلغت القسوة بامرأة لا يمكن ان تبلغ حد طرد... اول حفيد لها.

- انت لا تعرفها يا فرهاد انها... منذ قتلوا زوجها لم تعد تعرف الرحمة ازاء احد...

- ثمة ظروف تخلق من الانسان صخراً... ومع هذا... ساكتب اليها رسالة.

- وما جدوى الكتابة، لقد كتبنا اليها حتى الآن اكثر من خمسين رسالة.

- انها محاولة... وعلى اية حال... لا ضير منها... سأقول لها ان داليا في شهرها الاخير... وان حياتها وحياة حفيدك متوقفتان عليك...

و... وذات يوم مطر خفت على طرق على الباب... ووجدت نفسها وجهاً لوجه... امام... يا الهي... امها...

- اوه... ماما...

وكادت يغمى عليها... من هول المفاجأة... وزخم الفرع الذي تدفق من اعماقها:

- آه... يا ملعونة... اذن. فقد حملت من المسلم...

- ماما...

- لا بأس... لا بأس... انه ولد... اتدريين يا داليا...

ما تحمليته ولد... بحق العذراء... الولد فقط يجعل البطن بهذا الحجم.

- اوه... ماما...

وانعقد لسانها من الفرع... ولم يعد يوسعها ان تقول اكثر

- اوه ماما... اوه... ماما... ما هذا؟ لن تجعليني اظل واقفة على الباب الى الابد...

- اوه... ماما... نسيت... انساني وجودك كل شيء...

واخذت تدفن رأسها في حضنها... تشم رائحة امها... تتحسس دفنها... تتلمس وجودها، كطفلة صغيرة...

- يا ملعونة... منذ زمن لم ارك... لقد كنت قاسية معي يا داليا.

- انا؟. انا... يا ماما...؟ لا بأس... لا بأس...

لكن... لكن... اغفري لي قسوتي... يا ماما... اغفري اي خطأ ارتكبت... ولتذهب تلك الايام الى جهنم... المهم... انت الان في بيتي... في بيتي اه... يا الهي... لا تدعني أمت... من الفرع... ماما... اكاد... لا اصدق...

كم مرة اغلقت الباب بوجهنا... كم مرة تركت اربيل وسافرت الى اخيك في الموصل... بمجرد ان سمعت بمجيئنا... اليك... اه... لماذا يا ماما... لماذا؟...

اي ذنب جنيت...؟ اية جريمة اقترفت... اهي جريمة ان احب انساناً واتزوج منه... ماذا يهمني من دينه؟

مخالف لديني...؟. ليكن... اني احبه... والحب هو القانون الاسمي والارقي للحياة...

ولا ينبغي ان ندع الاديان تعمل على التفريق بين البشر... بصنع الحواجز والسدود الموهومة بين الانسان وبين اجزائه المبتوثة في الاخرين...

في «عينكاوة» تلك القصة الهادئة... المرتخية على اكتاف اربيل، المنسرحة كجدائل عذراء... بيوتها... المتداخلة بقلوبها المتآلفة... بناسها الفقراء... الطيبين الى حد الالوهية... لم تحس يوماً بانها تختلف عن سواها... كل العوائل... عائلة واحدة كبيرة. كل البيوت بيت واحد كبير...

لاول مرة احست بفارق بينها وبين الاخرى اقلقها الاحساس... ألمها... وذلك حين اخرجتها معلمة... الدين، مع بضع صبايا اخريات... من الدرس...

سألت امها عن هذا الأمر الغريب... قالت:

- أبنتي... أن لنا ديناً آخر... هو...

قاطعها عزيز... بحدّة...

- لا تسممي افكار الطفلة... هذه مسألة عادية يتكفل التطور بحلها... أيكون التطور... أو شيء آخر... قد حلها فعلاً... بالنسبة لأمها على الاقل... ها هي ماثلة امامها... بلحمها ودمها... وهي تحتضنها... وتلثم النجمة المضلعة التي تتدلى من رقبتها... التقت شفاهما... فوقها... فأحست المرأتان باحساس عميق يشدهما... ويزيد من عناق الواحدة منهما للأخرى...

\*\*\*

شعرت داليا... بطعم غريب في حلقها... انتبهت انها كانت قد ادخلت  
النجمة في فيها... قمصها... اذ لم تكتف بلثمها...

- اوه...

لاحظ فرهاد... ان «ابو حيدر» قد خفف من سرعته كثيراً... وهو يخرج  
عن الشارع... الى تحت ظلال شجرة توت وارفه اوقف السيارة... وقال  
وهو يترجل منها:

- تسمحون لحظة...

وأتحه خلف تل صغير... بضع دقائق... ثم عاد وهو يزرر فتحة سرواله...  
- خفت الحرارة... بعض الشيء... ها...؟

قال ذلك وهو يتناول سيجارة من علبته، ويقدم اخرى لفرهاد...

إلا أن فرهاد امتنع عن قبولها... شاكراً...

- شكراً... دخنت كثيراً... احس بمرارة في حلقى...

- لعنة الله... على الدخان... لقد نخر صدري...

- ولكنه يبدو عاجزاً عن التأثير على اسنانك...

ضحك ابو حيدر:

- انا رجل متهدم... كل ما بي متهدم... واسناني اكثر اجزائي تهدماً...

- بالعكس... انها تبدو... قوية... بيضا...

- لا يغرنك مرآها...

واضاف بعد ضحكة قصيرة:

- انها... اصطناعية...

- اصطناعية...؟ لا اخفي عليك اني منذ رأيتك اغبطك عليها...

- ها ها ها... ماذا نعمل حين يتقدم بنا العمر... نلجأ الى الاحتيال

ولكن... لا يصلح العطار... ما افسد الدهر.

- اما كفاك... يا ولدي... ما تفعله بنفسك...

وانتبه الرجلان الى ناسو... مرة اخرى...

- الم ينم... حسبته قد نام...

- لقد ادمى... عينه... طوال الوقت يبكي...

أحس فرهاد... بعجز... عن قول اي شىء... فاكتفى بأن تساءل:

- والنتيجة؟... الى متى سيظل يبكي...

قال ابو حيدر... ونهنيات ناسو تنزل رصاصاً مصهوراً في ضميره:

- لا حول ولا... سيقتل نفسه... هذا الولد...

استسلم فرهاد لعجزه... تماماً:

- لا ادري ماذا افعل... لا ادري...

قال ابو حيدر:

- اتسمح لي ان اقول لك ماذا ينبغي ان تفعل...؟ او... او ماذا كنت

افعل... لو كنت مكانك...؟

تساءل فرهاد بياس:

- ماذا...؟

- كنت ارجع!

- ترجع...؟

صرخ الرجل والمرأة... وكل منهما يخيل اليه انه يستمع الى صدى ما

يعتمل في نفسه...

- ما بالكما ارتعبتما؟.

وشعر فرهاد... بان الدودة قد عادت تقرض اعصابه... فقاومها... ولكن

بضعف ووهن... انعكسا... في صوته المخنوق:

- ولكن... كيف يمكن ان نرجع... لا... لا... لا يمكن ان ارجع...

- لم اقل لك ارجع... قلت لو كنت مكانك... لرجعت...

ثم اضاف وهو يزفر:

- هه... ينبغي ان يكون للانسان اعصاب من حديد... حتى يتحمل طفلاً يبكي... منذ الصباح...

- لم نسمع احداً... مات من البكاء...

قالته داليا... وهي تحس بانها تحارب بسيف من خشب... تحارب من؟... افكارها... وعواطفها... اكثر مما تحارب... رأى «ابو حيدر»

- من يدري... يا ابنتي... من يدري... صحيح الاعمار بيد الله... ولكن ثمة احزان... تقصم العمر...

منذ فترة غير قصيرة... ومنذ ان القى ناسو القبيح الفخاري... ومنذ ان اهمل البلبيل البلاستيك... وتدحرج اسفل المقاعد... دون ان يحس به سواه... وفكرة شبيهة بالتي يقولها ابو حيدر... عن الاحزان التي تمتص سنوات العمر... تأكله بصمت... تراود ذهنه يتجاهلها حيناً... ولكنها تعود تستولي عليه... فيقاومها... بافكار مضادة... ولكن هشة... رخوة لا تصمد امامها... فيتهرب منها... الى حديث يغرق فيه نفسه مع نفسه... مع ذكرياته القديمة... اومع «ابو حيدر»... او زوجته او حتى ناسو... نفسه...

والآن... اين يهرب... ها هو ابو حيدر يضعه وجهاً لوجه امام كل مخاوفه... يجسدها... له في عبارة قصيرة... ثمة احزان تقصم العمر...

- انا جد... يا ولدي... صدقاني لو كنت على فراش الموت... لفضلت ان تنصرف حفيدتي... الى العايبها... على ان تذرف من أجلي دمعاً واحدة... ولباركت كل من يساعدها في ذلك في ابدال دمعتها... بضحكة... بابتسامة... باشراقة في وجهها... ولكن... أه... «لا رأى لمن لا يطاع»

اسندت داليا رأسها الى زجاجة السيارة... لو تنام بعض الوقت اذن لحققت لنفسها خلاصاً ولو مؤقتاً، من كل ما يحيط بها... وودت لو يمتد نومها... ولا تفتح عينها الا في بيت عمها... قد يكون ما ينتظرها. هناك اكثر شقاء وبؤساً من كل ما تعاني... ولكنها تكون قد وصلت دون احساس كبير بالذنب... وتخلصت من هذا العذاب الذي تعانيه... الا ان حرارة الشمس عادت تلفح وجهها... وتسيل على جسمها خيوطاً متقطعة من الماء، فابعدت رأسها عن الزجاجة... انتبهت الى ان المنشفة قد سقطت منها... لم تهتم برفعها. او اعادتها الى مكانها... فكت.

«الاشارب» من رأسها... فتناثرت خصلات شعرها الذهبي الطويل... فتحت شبك السيارة... فلفحها الهواء هذه المرة... حاراً... اغلقته وراحت تمسح العرق المتصبب على وجهها... فتحت شق ثوبها الاسود من جهة الصدر... واخذت تمسح رقبته وصدورها... «لا لا ادري لا ادري... ماذا يتحتم علي ان افعل...» وودت لو يتكفل فرهاد بالامر... اذن لسبب لها راحة كبيرة... اخذت تلمن النجمة المضلعة... بابا... لو كنت انت فرهاد... وكنت انا، ناسو... اكنت تدعني... ان... ان... لا ليس هو فرهاد وحده الذي يدع الطفل يتعذب... بل ربما انا... انا المسؤولة... اه...

رفض فرهاد سبجارة اخرى من «ابو حيدر» شاكرًا:

- تعبان ابو حيدر... تعبان

احس... بنفسه ضعيفاً... متعباً الى حد بعيد... يسري التعب في كل مفصله... يعصرها عصراً قاسياً... يسحق عظامه... يفتت لحمه... تهاجمه افكاره... بشراسة... تغرقه في لجها... احياناً، تقذف به على السطح احياناً اخرى... ولكنها تظل تشده الى نفسها...

رأى في حصر افكاره في ابيه حصناً يقويه هجمات افكاره... ويحميه ضد الضعف الذي يوشك ان يتغلب عليه... فسرح بذهنه بعيداً... الى ايام كان صبياً صغيراً... حيث ضبطه ابوه في سرقة... اجل سرقة... وبدا له انها نهايته... الا ان الاب تصرف معه على نحو آخر... تماماً...

\*\*\*

في فترات الجفاف، حيث تبخل السماء بمائها... أو لا تنزله الا يسيراً... لا تروي من عطش... ولا تبلل من يبس فيذبل الزرع... وتحترق الخضرة... وتعلو شكاوى الاغنام في ثغاء ضعيف مستقطع... ليختلط في خوار الابقار والشيران لتستحيل في النهاية الى احاديث ليلية مؤلمة في بيوت الفلاحين تنتزع القشور عن جروح عميقة... قديمة... حفرتها في القلوب فترات جفاف سابقة...

كانت مجاميع من الصبيان، لا يتجاوز اكبرهم العاشرة... يندفعون نحو البيوت، بعد ان صبغوا وجه هذا الكبير بالسواد... وهم يحملون صفائح، معلقة الى رقابهم... بخيوط متينة، يدقون عليها دقة واحدة، في صخب وضوضاء وهم يرددون آغاني للمطر... ويتوجهون نحو البيوت حيث يقودهم كبيرهم... خلفه بصوت واحد:

- كؤسه وهوى... كؤسه وهوى

فيفف هذا الكبير... متواجهاً معهم... يوجهه الملطخ بالسخام... يرد عليهم بصوت جهوري:

- كؤسه...

ثم يواصل سيره... وبين كل بضعة امتار تتكرر الوقفة ويتكرر التردد... وتتحول المسيرة الى سيل عارم من الاطفال والصبيان والفتيان... فيطرقون على الابواب التي تفتح لهم عن نسوة يرشونهم بشلالات من الماء... ثم يعقبونها... بما تجود به انفسهم من قمح... او طحين... او شعير... او قطع من الخبز اليابس... او برغل... او عدس... او...

او... تجمع كلها في كيس كبير... يقدمونه... بعد ذلك الى احد المعدمين... قال عزيز الذي كان غالباً ما يمثل دور الكبير قائد الصبيان أي الـ «كؤسه»:

- هذه المرة نأخذ الهدايا الى بيت «مامه وويس»

فصرخ الجميع خلفه:

- الى بيت مامه... وويس.

ومامه وويس... «العم وويس» كان شيخاً قد تجاوز الستين، يعمل في حراسة طاحونة احد الأغوات الاقطاعيين التي باتت مهجورة بسبب الجفاف... ويات معه العم... وويس وزوجته وابنتهما... لا يكادون يجدون ما يسدون به الرمق...

وتوجه الجميع الى الطاحونة المهجورة... التي نشف حتى ماؤها... والتي وافق صاحبها الاقطاعي، ان يتخذها «مامه وويس» مسكناً له... مقابل حراسته لها...

توجهوا... وهم لا ينقطعون لحظة عن صخبهم وصياحهم... كؤسه وهوى... كؤسه وهوى... كؤسه...

هرعت ابنة «مامه وويس» الشاحبة الصفراء الى الداخل حين رأتهم مقبلين... فخرجت امها... وقد اطبقت كفيها... على شئ ما تحمله اليهم... وتتقدم من حامل الكيس:

- اولادي... عمكم... «مامه وويس»... مريض... لم يأكل شيئاً منذ يومين... ونحن فقراء... يا اولادي... اعذروني إذ لا استطيع ان اقدم لكم اكثر من حفنة الشعير هذه...

وهمت ان تفتح الكيس وتفرغها فيه...

فبهت الكل وترقرقت اكثر من دمعة في اكثر من عين... خيم عليهم ذهول تام... كان عزيز بما عرف عنه من جرأة... ونضح في التصرف...

اسبقتهم الى الخروج من ذهوله؛ فامسك بكلتا يديها وقبلهما ووضعهما على جبينه... قبل ان يقول لها بلهجه خطابية:

- يا امناء... العزيزة يا امناء العزيزة المباركة... نحن جلبنا لكم بعض الهدايا التي جمعناها... ورجاؤنا ان تتقبلوها من اولادك...

- انتم... آه... يا اولادي... يا اولادي... دعوني اقبلكم... كلكم... كلكم... واحداً... واحداً...

ولم فرهاد اشراقة مليئة بالحياة في الوجه اليابس...

وفرحاً متألماً في عيني الفتاة الذابلتين... وهي تلتقط قطع الخبز...

همس فرهاد في اذن عزيز:

- امي تحتفظ في السرداب بكيس طحين... هلم بنا... نجلبه لهؤلاء.

وافق عزيز على الفور. ولكنه قال:

- هؤلاء اخذوا حصتهم... بقي العشرات من امثالهم... هيا بنا الى البيت، ثم نقرر لمن سنأخذه.

وبينما كانا... يفرغان الطحين... انتبها الى الاب يقف على رأسهما.

فكر فرهاد، قبل ان يلتفت نحوه «دلشاد اخبره، وحده الذي رأنا، حين دخلنا السرداب...»

قال الاب بصرامة:

- ماذا تفعلان...؟

غاص فرهاد في اعماقه، لم يجروا ان يفتح فاه، بينما اجاب عزيز... بهدوء... وجرأة:

- عمي باران... نأخذ بعض الطحين... لنوزعه على الفقراء...

وقبل ان ينطق الأب بشيء، اندفعت امه، يتبعها دلشاد فتأكدت كل شكوك فرهاد...

- ايها الجروان... أبلغت بكم الوقاحة الى هذا الحد؟

احتد الاب:

- انهما لا يفعلان شيئاً...

- انهما يسرقان... وماذا تريدهما يفعلان اكثر من السرقة؟

- دعينا... دعينا الآن...

- لا... لا ادعهما... يأخذان... الطحين.

- من أين لك هذا الطحين؟... ولماذا أخفيتته...؟

وارتبكت الام:

- سيكون لهذا حساب آخر... والآن اخرجني مع الولدين...

وبينما كان الولدان يحسبان الف حساب لما يمكن ان يفعله بهما... اخذ

الاب، بخلاف كل حساباتهما وتوقعاتهما... يساعدهما... في ملء

الكيس... وإذ كانا يخرجان قال لهما... بصوت هادئ:

- لي حديث معكما... كليكما... حين تعودان...

لم يشك احدهما... بان الامر لم ينته عند هذا الحد...

عزيز... قال:

- صحيح هو في مقام ابي... وربما اكثر... ولكن لا اسمح له ان يرفع

يده علي... لاني... لم اخطئ.

تخلف عزيز... بينما لم يجد التأخير فرهاد. إذ كان لا بد ان يعود الى

البيت.

- اين عزيز؟

- لم يأت...

تجاوز الاب السؤال عن السبب.

- ما فعلتماه... ينطلق من شعور نبيل... بآلام وجوع الناس ولكنه

شعور... اخطأ الطريق الصحيح للتنفيذ...

قال ذلك كما لو كان يتحدث الى رجل... لا... الى طفل لم يبلغ العاشرة... من العمر...

- ليس ذلك طريق حل مشكلة الجائعين والفقراء... ان لذلك طريقاً آخر...  
سأله بلهفة:

- ماهو...؟ اين هو...؟

- ستعرفه... يا فرهاد... سأجعلك او يجعلك غيري ان تعرفه وستشقى في سبيله كثيراً... وتتعبذ ولكنك تظل متعلقاً به... ولن تجد خارجه...  
سعادة حقيقة لك... ثم عانقه، وهو يقول:

- اني اتوسم الكثير... فيك وفي عزيز...

وظل، بعد ذلك، يحدثهما... حديث رجل لرجلين...

وصديق لصديقين... كلما وجد من الوقت فسحة.

\*\*\*

- انت لا تدري يا ابو حيدر... لا تدري اي اب هو ابي...

دهش ابو حيدر... ولم تكن دهشة داليا بأقل من دهشته.

- لا ادري... عن اي شئ يتحدث... يا ولدي...

قالها ابو حيدر:

- اوه... آسف... آسف.

هزّ ابو حيدر رأسه وقال بغلظة:

- الامر كما تقول... فأنا لا اعرف الكثير عن ابيك... وربما حتى القليل... ولكنني اعرف الكثير عن هذا الطفل الذي يذوي وعن طائره ناسوس... أيضاً.

٢٢

- الماء وحده... غير كاف للطيور... ماما... أليس كذلك؟

- الماء...؟ لماذا الماء وحده...؟

- لان... ناسوس لم يبق عنده غير الماء... و... يمكن... يمكن حتى الماء خالص.

وغاص قلب داليا... إذ تذكرت انها رفست القفص وانسكب الماء...

فقالت بصوت متشنج:

- أ... الماء... أ... الماء؟

- ملأت له الطاسة... ولكنه الآن حتماً... شربها... كلها... او رفسها...

انا التي رفستها... انا التي تركت الطائر بلا ماء... بلا اكل... محبوساً في قفصه... أه... يا ولدي...

- كفاك... تمزيقاً... لقلبي... يا ولدي... بالله عليك...

قالتها بصوت عال متوسلة لعل فرهاد يسمعها... فينقذها منه... أن يأخذه عنده على الاقل... او يلهيه بحديث آخر... ولكن لم يبد على فرهاد انه قد سمعها... فأضطرت ان تصيحه:

- فرهاد... فرهاد...

اجابها ابو حيدر:

- نائم... نائم... اتريدين شيئاً ام ناسو؟

- ها... لا... لا... دعه...

اريد شيئاً...؟ طبعاً اريد... اريد ان اهرب اليه... اريد ان يحميني من هذا الصغير...

إذن... وحدي... وحدي... معه... لا بأس... عليّ ان اجني ما زرعته



- ع... ع... ع... عوع...  
توقف السائق اول ما صاحت به:  
- ابو حيدر... توقف... ارجوك.  
- داليا... ماذا بك؟. ماذا حدث...?  
ولكن داليا لم تجب فرهاد... إذ قذفت نفسها خارج السيارة اول ما  
توقفت، دافنة وجهها... في غطاء رأسها...  
- ماذا بها ماما...؟  
- تتقيأ... داخت...  
وخطف فرهاد «الترمس» وهرع خلفها... اخذت منه الترمس و اشارت  
اليه:  
- ارجع... ارجع الى الطفل...  
ولكنه وقف خارج السيارة... وسمع السائق يقول:  
- لم ار ناساً قادرين على تعذيب انفسهم الى هذا الحد.  
قال فرهاد ينفي تصورات السائق:  
- داخت... داخت من الشمس... ذلك كل ما في الامر...  
هزّ ابو حيدر رأسه واكتفى بالنظر الى... الشمس... التي لم تعد شمساً  
وانما استحالت الى مجرد... قرص احمر... يوشك ان يغرق... غسلت داليا  
فاها... ووجهها... ثم استقلت في مكانها بأعياء شديد.  
- كيف... انت الآن...؟  
- بخير... بخير...  
- تمديدي... تمديدي... لعلك تنامين... نتحول انا وناسو الى الامام.  
استلقت داليا... في المقعد الخلفي... واضعة حقيبتها اليدوية تحت  
رأسها... كان طعم القئ ما يزال يثير فيها التقرز... وقد... انشق في

- ها... داليا... أتريدين شيئاً...؟  
وهمت ان تقول له... انقذني من ابنك ولكنها ابدلته بطلب آخر:  
- خذ... ناسو... عندك... لقد تعبت رجلاي...  
ولكن ناسو... الذي كان التعب قد نال منه... ووجد لنفسه بعض الراحة  
في استلقائه على ظهره، على ذلك النحو... رفض باصرار:  
- لا... لا... هنا... احسن... احسن...  
- إذن، آتي... انا عندكم... تسمح... تسمح ابو حيدر؟  
- تفضل... استاذ... تفضل...  
وتوقف ابو حيدر... حتى اتخذ فرهاد مكانه في المقعد الخلفي...  
احس فرهاد... براحة... إذ اصبح بعيداً الى حد ما... عن «ابو حيدر»...  
الذي لا بد ان يعود الى التلاعب بجروحه...  
- تعال... ناسو... تعال عندي... دع امك ترتح...  
وابتعدت داليا الى اقصى الجانب الآخر... غارقة نفسها في النظر الى  
الارض المتموجة الجرداء... الصاعدة الى اربيل.  
- بابا... ناسوس... سينتفخ حتى... ينفجر...  
- ينفجر؟... أهو باللون...؟  
- ينفجر... من كثرة ما يشرب من الماء...  
- بالعكس... يرتوي من الماء...  
- ولكنه يظل يشرب... ويشرب... حتى...  
- لا يشرب، بالطبع، اكثر من حاجته.  
- بل يشرب... اذا كان لا يجد شيئاً يأكله فهو يملأ بطنه بالماء...  
وند من داليا... التي جرّ ناسو... بحديثه كل اهتمامها اليه، صوت  
غريب:

- أنا السبب... فرهاد... أنا السبب، ولست ادري كيف اتخلص من هذا الشعور؟

وانشق في قلب فرهاد جرح اعظم وادمى من كل الجروح، أي حقد سينطوي عليه الطفل ازاء امه بعد اليوم... خاصة إذا عادوا ووجدوا الطائر قد مات... وهو ميت لا محالة... لا محالة...

ولكنه مع هذا قال... محاولاً تخفيف وطأة الاحساس بالذنب، الذي لم يعرف حتى الآن سببه، عنها.

- لم ترتكبي... جريمة... يا داليا...

- بل ارتكبت... يا فرهاد... ارتكبت.

- داليا... ارجوك لا تنسى الظروف التي احاطت بنا...

- الظروف تتحمل قسطاً صغيراً... ان استسلامنا لها على ذلك النحو يتحمل القسط الاكبر...

- لم يكن... بوسعنا ان نتصرف على نحو آخر.

- فرهاد... يا حبيبي... انت لا تدري... لا تدري...

- ماذا هناك يا داليا...؟

فقال بصوت متشنج:

- لقد سكبت... ماء الطائر... سكبت ماء ناسوس...

- سكبت الماء...؟

- تعلق القفص بذيل ثوبي... و...

وقاطعها: إذن لم تتعمدي... يا داليا... لم تتعمدي.

- تعمدت ام لم اتعمد... النتيجة واحدة يا فرهاد... واحدة... بقي ناسوس بلا ماء... ولا اكل... ولا...

- فات الاوان... يا داليا... اي فائدة من الاستمرار في تعذيب انفسنا

رأسها صداد شديد...

مال عليها فرهاد:

- مرتاحة...؟

- احسن...

تناولت قطعة طماطة من لفة «الكباب»... ساعدها طعمها على التغلب على طعم القيء... اغمضت عينها... بينما ظل فكها يتحركان بوهن... يعلسان قطعة الطماطة.

- نم... ابني... نم...

أمر فرهاد ابنه... إذ احس به يتحرك... ويهم ان ينهض... ولكن الطفل لم يرضخ، فأحتد فرهاد اكثر:

- نم... نم... اما كفك ما فعلته بأمك؟

- تستاهل...

رد عليه الطفل بحدة اكثر:

- ناسو...

- هي السبب... هي السبب...

- ناسو...

وفي هياج... رفع كفه يهم ان يصفع الطفل... ولكن الطفل القي بنفسه في حضن ابو حيدر، منكمشاً على نفسه امسك... ابو حيدر بيد فرهاد...

- دعه... بالله عليك ابو ناسو... دعه... انه طفل. لا يعي ما يقول.

بينما قالت داليا بصوت واهن تؤكد ما قاله ناسو... بأحساس طاغ بالذنب؟

- صحيح... يا فرهاد... ما يقوله الطفل صحيح...

- داليا... ما الذي تقولين...؟

والآن نامي... نامي... يا حبيبتي... ما تزال امامنا اكثر من ساعة... لعلك  
تنامين خلالها قليلاً...

« وهل يتركني شبح ناسوس ان انام... ان ارتاح... بعد الآن؟ »

ودت من اعماقها... ان تعود... ولكن ماذا بوسعها؟ لو كان ابوها ذلك  
الذي يحتضر... لما ترددت لحظة... ولكنه ابوه... هو... هو... وينبغي ان  
يقرر ذلك بنفسه...

- نام... ناسو... نام.

قال ابو حيدر:

- نام؟...

تساءل فرهاد:

- دعني آخذه... انه... يعوقك عن السياقة.

- خذه... برفق... برفق...

ثم اضاف:

- لا... لانه يعرقل سياقتي... فانا بوسعي ان اسوق وهذا الملاك في  
حضني... ولكني اخاف ان يستيقظ اثناء تحركاتي...

وسحب فرهاد اليه برفق، لم يعد ثمة الكثير لنصل اربيل... فقط لو  
يظل نائماً... حتى نصل... هناك يمكن ان نفكر على نحو اسلم.

كان صدره الصغير يعلو ويهبط... تأمله بحزن... ما قاله عن داليا ما  
يزال ينگزه... فترت شففتا الطفل عن ابتسامه باهتة... تدلت شففته  
السفلى... فبان اسنانه الصغيرة المرصوفة بدقة... لا يشوبها... سوى  
سنتيه الاماميتين... اللتين خرجتا عن النظام العام لاسنانه وبرزتا الى  
الامام... وإذ... تأمل انفه الدقيق المحدودب قليلاً في منتصفه... تذكر  
انف ابيه وبلا شعور تحسس انفه...

- هل يريد شيئاً؟

تساءلت داليا... وهي تنهض جالسة:

- ناسو؟... لا... انه نائم...

- خيل إليّ اني سمعت صوته...

- لعلك حلمت...

قالت داليا:

- لا... لم انم... أبداً... ولكن خيل إليّ... المهم...

وقطعت كلامها ومالت بكل جسمها نحو ناسو؟

- امسح عنه العرق... يا فرهاد...

ناولته منشفة صغيرة... لم يكن ثمة عرق في وجه ناسو ولكن لعابه،

كان قد اخذ يسيل على الطرف الايمن من فتحة فيه...

بدأ ناسو يحرك... شفثيه... ويخرج صوتاً مخوقاً...

- ماذا به... ماذا بالطفل...؟

سألت داليا بخوف:

- لاشئ... لعله... يحلم... قال ابو حيدر بألم:

- وهل كف المسكين لحظة عن الحلم...

لماذا لا يدعنا هذا الرجل نصل الى اربيل، لماذا يظل يعبث بجروحنا...؟

- ليحلم... لا ضير... كل انسان يحلم...

انتبه فرهاد الى نبرة الاستياء في صوته... واضحة.

- آسف... آسف... لكل ما قلت... لقد سمحت لنفسني بالتدخل اكثر مما

ينبغي...

اسرعت داليا تعتذر:

- لقد غدوت واحداً منا... يا ابو حيدر...

فاشرق وجه «ابو حيدر»:

فقاطعه ابو حيدر بحدة:  
- ولكنني قلت نسييتها... لا... لم أقل. انت ارغمتني على ذلك القول...  
فرددت لك الجواب الذي كنت تريده...  
تراجع فرهاد:  
- آسف... آسف...  
لم يسمعه ابو حيدر كان مندمجاً في حديثه عن حفيدته...  
- ظلت تحوم حول لعباتها... الأولى... التي رميتها في ساعة من  
ساعات غضبي الاعمى... بعد ان حطمتها... في بالوعة في باحة الدار...  
حتى... حتى... ألقت بنفسها... خلفها...  
- ألقت بنفسها؟...  
- هي الآن... مبتورة الساقين... وفي الثانية عشرة من عمرها وما  
زلت... اشترى لها... الدمى...  
لم يجد احد من الوالدين... لديه... ما يقوله... فقط... التقت نظراتهما  
على ناسو... الذي كان ما يزال يحرك... شفتيه... ويديه... يضرب بهما  
الهواء... وهو يبتسم تارة... يتجهم اخرى...  
- لا... الثلاجة... لا... ناسوس... لا...  
وارتعب الكل...  
- ناسو... ناسو...  
- آه... مات... الثلاجة... ضربته...  
- ناسو... ناسو...  
وكادت المرأة تجن... توقف ابو حيدر عن السير... بينما راح فرهاد  
يخضه... ينقذه من الكابوس الجاثم فوق صدره...  
ولم يكد الطفل يفتح عينه... حتى صرخ باكياً:  
- ناسوس... بابا... ناسوس... مات... مات...

- ذلك احساسى يا ابنتى... يشهد الله... ذلك احساسى... منذ سعدتم  
في سيارتي...  
نبههم ناسو... الى نفسه مرة اخرى... بأهة صدرت منه...  
اعقبتها حركات من يديه... يضربها في الفضاء... كأنه يضرب أحداً.  
- يا إلهي... ماذا به...؟  
- لعله... يطرد خطراً يقترب من ناسوسه.  
قالها ابو حيدر... بلا وعي... ثم انتبه واخذ يعتذر:  
- آسف... آسف جداً... يفلت احياناً مني الكلام... دون تعمد...  
- نحن نقدر موقفك يا أبو حيدر... انت تتألم من اجل الطفل...  
- واى ألم... يا ابنتى... اى ألم... والله بقدر ما تألمت من اجل خوله...  
وأكثر.  
- اطمئن ابو حيدر... سأبذل المستحيل... واجعله ينسى... طائرته... كما  
جعلت خوله... تنسى دميتها الاولى...  
- خوله؟...  
وتساءل ابو حيدر... بدهشة... كأنه يسمع بالاسم للمرة الاولى:  
- خوله... لم تنس لعبتها يا استاذ...  
- ولكنك قلت...  
لم يبال به ابو حيدر:  
- اشترت لها... والله اكثر من عشرين دمية... ولكنها رفضتها كلها...  
هذه عينها صغيرة... تلك وجهها اصفر... اخرى شعرها اشعث... لم ترض  
عن دميتها الأولى بديلاً... قط... قط  
واعاد فرهاد كلامه:  
- ولكنك... قلت...

- ناسو... ابني...  
- ناسو... روحي...  
- ولدي ناسو...  
- ناسوس مات...  
- لا... ابني... لا... لم يميت ناسوس... كنت تحلم...  
- ها...؟  
واجال الطفل نظره هنيهة... ورفض ان يصدق ان ما رآه... كان مجرد حلم...  
- لا... لا... ضرب الثلاجة بقوة... وسقط تحتها ميتاً...  
وتفجرت عينا الام بالدموع.  
- بابا... نرجع... بابا فدوة نرجع...  
قال فرهاد بسرعة وبدون تردد:  
- ابو حيدر... ارجع بنا الى الحلة.  
وتهلل وجه ابو حيدر... واستندار بسرعة...  
- الآن... ابني... الآن...  
طوق... ناسو عنق ابيه... يغمر وجهه بالقبل...  
والتقت ثلاث اكف... فوق رأس الطفل تربت عليه بحنان وبدا لفرهاد  
انه يلمح في وجه الطفل المبتسم وجه ابيه، يبتسم له... ويكشف عن  
سنتيه البارزتين...  
وحين مالت عليه داليا تقلبه سبقتها الى وجه الطفل النجمة المضلعة  
المتدللية من رقبتها... فلثمتها معه... بسعادة.  
بعقوبة: أيار ١٩٧٥

## للكاتب

أولاً: المسرحيات، «المنشورة والمعروضة»

١- الاحتفال: نشرت في مجلة «صوت الطلبة»، بغداد، ١٩٥٩

٢- الحرباء: قدمتها فرقة «مسرح بعقوبة»، بعقوبة، ١٩٦٩، أخرجها الفنان جبلة عبد الحميد وقدمتها فرقة «مسرح الصداقة»، بغداد، ١٩٦٩، أخرجها الفنان اديب القليجي.

٣- الاشارة: نشرت في جريدة «التآخي»، بغداد، ١٩٦٥، قدمتها فرقة «مسرح المجددين»، بعقوبة، ١٩٦٨. أخرجها الفنان سالم الزيدي.

٤- السر: مطبعة «الغري»، النجف، ١٩٦٨، قدمتها فرقة «نقابة المعلمين»، قاعة الخلد، بغداد، ١٩٦٨. قدمت في معظم أنحاء العراق. ترجمها الى اللغة الكردية الفنان نوزاد قادر. قدمتها فرقة «نقابة عمال البناء»، السليمانية، ١٩٧٥. أخرجها الفنان جليل زهنگنه.

٥- الجراد: من مطبوعات مطبعة «دار الساعة»، بغداد، ١٩٧٠. نالت جائزة «الكتاب العراقي»، المريد، ١٩٧٠

٦- السؤال: او «حكاية الطبيب صفوان بن لبيب وما جرى له من العجيب والغريب»، قدمتها فرقة «مسرح اليوم»، بغداد، ١٩٧٥، أخرجها الفنان الراحل الكبير الاستاذ جعفر علي. نالت جائزة «أحسن نص مسرحي» ١٩٧٥، ١٩٧٦. طبعتها وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٦. عرضت في أنحاء عديدة من العراق. ترجمت الى اللغة الكردية، قدمتها فرقة «جمعية الفنون الكردية»، اربيل، ١٩٧٧، أخرجها الفنان پيمان بي گود، قدمتها فرقة «مسرح الطليعة»، الكويتي»، الكويت، ١٩٨٠. أخرجها الفنان التونسي المنصف السويسي، شاركت بها الفرقة في مهرجان، قدمها مسرح «سيد درويش»، الاسكندرية، مصر، حزيران، ١٩٨٦، أخرجها الفنان المصري محمد غنيم، قدمتها «جامعة الزقازيق»، جمهورية مصر العربية، آذار، ١٩٨٦، أخرجها الفنان المصري صلاح مرعي، قدمتها فرقة «مسرح البحر»، الجزائر، ١٩٨٧، قدمتها فرقة «مسرح

الجامعيين»، البحرين، ١٩٨٨. قدمت في أنحاء اخرى من العالم العربي

٧- الاجازة: قدمتها فرقتا «مسرح بعقوبة، ومسرح ديالى»، بعقوبة، ١٩٧٧. أخرجها الفنان سالم الزيدي. ترجمها الى اللغة الكردية الشاعر الكبير شيركو يين كهس. قدمتها فرقة «مسرح الطليعة»، السليمانية، ١٩٧٨. أخرجها الفنان احمد سالار. ترجمها الى اللغة الكردية مرة اخرى، الفنان «جهتو حسن». قدمتها «الفرقة القومية للتمثيل»، اربيل، ١٩٨٩، أخرجها الفنان تحسين شعبان. قدمتها الفرقة ثانية، في مهرجان «المسرح العربي»، بغداد، ١٩٨٩

٨- في الخمس الخامس من القرن العشرين يحدث هذا!!!: نشرت في مجلة «الاقلام»، بغداد، آذار، ١٩٧٩. قدمتها فرقة «مسرح اليوم»، بغداد، ١٩٧٩. أخرجها الفنان عادل گورگيس. اعادت الفرقة عرضها في بعقوبة، ١٩٧٩. نالت جائزة «النص العراقي» ١٩٧٩ - ١٩٨٠. ترجمت الى اللغة الكردية. قدمتها فرقة «الفنون الجميلة»، اربيل، ١٩٨٠. أعادت عرضها في بغداد، ١٩٨٠. قدمت في المغرب، ١٩٨٧. قدمت في السودان، الخرطوم، ١٩٩٨. قدمتها لجنة «المسرح العراقي» - ١٩٩٨. اعادت عرضها على مسرح الرشيد بغداد. أخرجها الفنان سالم الزيدي.

٩- اليمامة: صدرت عن «اتحاد الكتاب العرب»، دمشق، ١٩٨٠.

١٠- مساء السلامة ايها الزنوج البيض: نشرت في مجلة «الثقافة»، بغداد، تشرين، ١٩٨١. قدمت في المغرب، الدار البيضاء، ١٩٩١. قدمتها لجنة «المسرح العراقي»، فرقة «مسرح ديالى»، ١٩٩٩. قدمتها لجنة «المسرح العراقي»، منتدى المسرح، بغداد، ١٩٩٩. أخرجها الفنان سالم الزيدي. ترجمها الى اللغة الكردية الفنان ازاد برزنجي. قدمت في معهد «الفنون الجميلة»، السليمانية، ١٩٨٨. أخرجها الفنان ازاد برزنجي.

١١- العلبة الحجرية: قدمتها فرقة «مسرح اليوم»، ١٩٨٢. أخرجها الفنان يوسف رشيد. نالت جائزة افضل نص، ١٩٨٢-١٩٨٣. نشرت في مجلة «الاقلام»، بغداد، آذار، ١٩٨٣. قدمتها الفرقة «القومية للتمثيل»، بغداد، ١٩٨٨. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»، ١٩٨٨. أخرجها الفنان فتحي زين العابدين. قدمت في المغرب، الرباط، ١٩٩٨. أخرجها الفنان المغربي عبدالكبير

- الركائنة. قدمتها الفرقة القومية مرة أخرى، في مهرجان المسرح العراقي الخامس - بغداد، نيسان، ٢٠٠١. أعادت عرضها في «مهرجان عمان للمسرح العربي» تشرين الاول ٢٠٠١. حصلت ثلاث جوائز من مجموع جوائز المهرجان الست. أخرجها الفنان فتحي زين العابدين.
- ١٢- لمن الزهور؟: نشرت في مجلة كاروان، أربيل، حزيران، ١٩٨٣. قدمت في مهرجان «بغداد الاول للمسرح العربي»، بغداد، ١٩٨٥. أخرجها الفنان عزيز خيون. ترجمها الى اللغة الكردية الكاتب ازاو برزنجي. نشرتها مجلة «بيان»، بغداد، آذار، ١٩٨٨. قدمها معهد «الفنون الجميلة»، السليمانية، ١٩٨٩. قدمها منتدى المسرح، بغداد، ١٩٨٩.
- ١٣- صراخ الصمت الاخرس: قدمتها فرقتا المسرح الشعبي ومسرح اليوم، بغداد، ١٩٨٧. أخرجها الفنان الدكتور عوني كرومي. أعيد عرضها على قاعة الفنانين التشكيليين، بغداد، ١٩٨٨. قدمت في عمان، الاردن، ١٩٩١. أخرجها الفنان عوني كرومي. نشرت في مجلة «فنون» الاردنية، العدد (١١-١٢)، ١٩٩٢. ترجمها الى اللغة الكردية الفنان كريم بياني. نشرت في مجلة «سينما ومسرح»، أربيل، آذار، ١٩٩٩. قدمتها فرقة «رثند»، برلين- المانيا، ١٩٩٩. أخرجها الفنان عوني كرومي.
- ١٤- حكاية صديقين: نشرت في مجلة «الأقلام»، بغداد، كانون الثاني، ١٩٨٦. قدمتها فرقة «المسرح الفني الحديث» شباط، ١٩٨٨. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»، ١٩٨٨. أخرجها الفنان سامي عبدالحميد. قدمت في البحرين، المنامة، ١٩٩٠.
- ١٥- الحارس: نشرت في جريدة العراق، تشرين الاول، ١٩٨٧. قدمتها فرقة «نقابة الفنانين» ميسان، شباط، ١٩٨٨. أخرجها الفنان مكي حداد. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»، ١٩٨٨. نشرتها مجلة «البيان»، الكويت، ١٩٨٩. ترجمها الى اللغة الكردية إسماعيل نور. نشرت في «روفا» العدد ٦، ٢٠٠٠. عرضت في أربيل.
- ١٦- الأشواك: نشرت في مجلة «الأقلام» بغداد، شباط، ١٩٨٨. قدمتها الفرقة القومية للتمثيل، بغداد، آذار، ١٩٨٩. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»،
١٩٨٩. أخرجتها الفنانة منتهى محمد رحيم. نالت جائزة النص العراقي ١٩٨٩-١٩٩٠.
- ١٧- تكلم يا حجر: نشرت في مجلة «الأقلام» بغداد، آذار، ١٩٨٩. قدمتها الفرقة القومية للتمثيل، آذار، ١٩٨٩. أخرجها الفنان وجدي العاني. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»، ١٩٨٩. ترجمها الى اللغة الكردية الكاتب محمد عبدالرحمن زهنگه. قدمت في أربيل، ١٩٩٩. أخرجها الفنان طلعت سامان.
- ١٨- كاوه دلدار: مطبعة وأوفست حسام، بغداد، ١٩٨٩.
- ١٩- العقاب: نشرت في مجلة «الأقلام»، شباط، ١٩٩٠. ترجمها الى اللغة الكردية الشاعر جمال غه مبار. نشرت في «روفا» العدد ٦، السليمانية، ٢٠٠٠.
- ٢٠- القبط: نشرت في مجلة «الأديب المعاصر»، ميسان، ١٩٩٢. قدمتها فرقة «مسرح ١٤ تموز»، ١٩٩٥. أخرجها الفنان حسين جوير.
- ٢١- موت فنان: نشرت في مجلة «الأقلام»، آذار، ١٩٩٤.
- ٢٢- هل تخضر الجذوع؟: نشرت في جريدة «العراق»، تموز، ١٩٨٧.
- ٢٣- مسرحيات: صدرت عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤. ثلاث مسرحيات في كتاب نالت جائزة أحسن كتاب، ١٩٩٤.
- ٢٤- مساء السلامة أيها الزوج البيض: صدرت عن الأمانة العامة للثقافة والشباب، ١٩٨٨. ثلاث مسرحيات في كتاب
- ٢٥- أردية الموت: نشرت في مجلة «عشتار» غزة، فلسطين، عدد ٨، ١٩٩٦.
- ٢٦- سيأتي أحدهم: نشرت في مجلة «الرواد» العدد الأول، ٢٠٠٠.
- ٢٧- المائدة المستديرة: نشرت في جريدة «الزمن» نيسان، ٢٠٠٠.
- ٢٨- رؤيا الملك: من إصدارات وزارة الثقافة، ١٩٩٩. قررت كلية التربية، جامعة ديالى إعتماها مادة علمية في موضوع تحليل النصوص الأدبية نظراً لأهميتها الأدبية والفنية. حسيما جاء في قرار مجلس الكلية. نالت جائزة الإبداع في الأدب المسرحي، ١٩٩٩.
- ٢٩- مسرحيتان. صدرت عن دار الحرية، بغداد، ٢٠٠١.

- ١٩٧- صراخ الصمت الاخرس: قدمتها فرقتا المسرح الشعبي ومسرح اليوم، بغداد، ١٩٨٧. أخرجها الفنان الدكتور عوني كرومي. أعيد عرضها على قاعة الفنانين التشكيليين، بغداد، ١٩٨٨. قدمت في عمان، الاردن، ١٩٩١. أخرجها الفنان عوني كرومي. نشرت في مجلة «فنون» الاردنية، العدد (١١-١٢)، ١٩٩٢. ترجمها الى اللغة الكردية الفنان كريم بياني. نشرت في مجلة «سينما ومسرح»، أربيل، آذار، ١٩٩٩. قدمتها فرقة «رثند»، برلين- المانيا، ١٩٩٩. أخرجها الفنان عوني كرومي.
- ١٤- حكاية صديقين: نشرت في مجلة «الأقلام»، بغداد، كانون الثاني، ١٩٨٦. قدمتها فرقة «المسرح الفني الحديث» شباط، ١٩٨٨. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»، ١٩٨٨. أخرجها الفنان سامي عبدالحميد. قدمت في البحرين، المنامة، ١٩٩٠.
- ١٥- الحارس: نشرت في جريدة العراق، تشرين الاول، ١٩٨٧. قدمتها فرقة «نقابة الفنانين» ميسان، شباط، ١٩٨٨. أخرجها الفنان مكي حداد. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»، ١٩٨٨. نشرتها مجلة «البيان»، الكويت، ١٩٨٩. ترجمها الى اللغة الكردية إسماعيل نور. نشرت في «روفا» العدد ٦، ٢٠٠٠. عرضت في أربيل.
- ١٦- الأشواك: نشرت في مجلة «الأقلام» بغداد، شباط، ١٩٨٨. قدمتها الفرقة القومية للتمثيل، بغداد، آذار، ١٩٨٩. شاركت في مهرجان «المسرح العربي»،

- كتاب عن دار الثقافة والنشر باللغة الكردية، بغداد، ١٩٨٦.
- ٢- الجبل والسهل: من منشورات دار تاراس للطباعة والنشر - ٢٠٠٢.
- العديد من القصص والمقالات والدراسات النقدية والفكرية حول قضايا الأديين العربي والكرد، التي نشرت في الصحف والمجلات المحلية والعربية والتي لم تجمع حتى الآن في كتاب.
- مسرحيات وروايات وقصص مازالت غير منشورة (مخطوطة).

- ٣٠- العانس: نشرت في مجلة «ألق» عدد ٣، حزيران ٢٠٠١.
- ٣١- مع الفجر جا... مع الفجر راح. نشرتها مجلة المشهد، العدد ٨ في ٢٠٠٢.
- ٣٢- شعر بلون الفجر، نشرتها مجلة "لق" العدد ٢، ربيع ٢٠٠٠.
- ٣٣- الجنزير، نشرتها مجلة "يهيقين" العدد ٧ باسم مستعار هو ناسوس ميدي، عام ٢٠٠١.
- ٣٤- السفينه، نشرتها مجلة "يهيقين"، باسم مستعار هو "ناسوس" العدد ٨ سنه ٢٠٠١، باسم مستعار هو "ناسوس".
- ٣٥- زلزلة نرى في عروق الصحراء، نشرتها "يهيقين"، العدد ١١ الحادي عشر عام ٢٠٠٤. نشرتها جريدة "الزمان" الدولية، عام ٢٠٠٥، في اربع عشرة حلقة.
- ٣٦- عشرة نصوص مسرحية. صدرت في كتاب عن دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠٠٤.
- ٣٦- الخاتم: نشرتها مجلة "يهيقين" العدد السابع، عام ٢٠٠٢، نشرتها جريدة "الزمان" الدولية في سبع عشرة حلقة، عام ٢٠٠٣، ظهرت في كتاب. الطبعة الاولى: دافنار، كوينهاغن، دار قوس قزح، عام ٢٠٠٤. الطبعة الثانية: وزارة الثقافة، كردستان، السليمانية، عام ٢٠٠٤.

#### ثانياً: الروايات:

- ١- هم أو «يبقى الحب علامة» إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٥.
- ٢- ناسوس: دار الساعة، بغداد، ١٩٧٧.
- ٣- بحثاً عن مدينة أخرى: إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٠.
- ٤- الموت... سداسياً: مجلة «الأقلام»، بغداد، ١٩٧٠.

#### ثالثاً: القصص

- ١- كتابات تطمح ان تكون قصصاً، من منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤. ترجمها الى اللغة الكردية القاص غفور صالح. صدرت في